کتابخانه و مرکز اطلاع رسانی
بنیاد دایرة المعارف اسلامی

علوم اللغة

دراسات علمية مُحَكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دوري

(٢٠)

المجلد الخامس | العدد الرابع | ٢٠٠٢

رئيس التحرير
أ.د. محمود فهمى حجازى (القاهرة)

نائبا رئيس التحرير
أ.د. سعيد حسن بحيرى (عين شمس)
أ.د. عمر صابر عبد الجليل (القاهرة)

مدير التحرير
د. مجدى إبراهيم يوسف (حلوان)

المستشارون العلميون

أ.د. جوزيف ديشى (ليون ٢)
أ.د. حسن حمزة (ليون ٢)
أ.د. حمزة المزينى (الرياض)
أ.د. رئيف جورج خورى (هيدلبرج)
أ.د. السعيد محمد بدوى (الجامعة الأمريكية بالقاهرة)
أ.د. فولفديترش فيشر (ارلانجن)
أ.د. عبده على الراجحى (الاسكندرية)
أ.د. كمال محمد بشر (القاهرة)
أ.د. مانفرد ڤويدخ (أمستردام)
أ.د. محمد عونى عبد الرءوف (عين شمس)
أ.د. عبد الفتاح البركاوى (الأزهر)
أ.د. صلاح الدين صالح (بنى سويف)

شماره ثبت ٩٠٨٣٢
تاریخ ١٣٨٣/٥/١٢

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم اللغة

دراسات علمية محكمة تصدر أربع مرات في السنة

كتاب فصلي

ISSN 1110-2446

ⓒ حقوق الطبع والنشر محفوظة، ولا يسمح بإعادة نشر هذا العمل كاملا أو أي قسم من أقسامه، بأي شكل من أشكال النشر أو استنساخه أو ترجمته، أو اختزانه في أي شكل من أشكال نظم استرجاع المعلومات إلا بإذن كتابي من الناشر

قيمة الاشتراك السنوي:

٨٠ جنيها مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٨٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

سعر العدد:

٢٠ جنيها مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٢٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

أسعار خاصة للطلبة

المراسلات:

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى:

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

ص. ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

المحتويات

البحوث	الصفحة
- ظواهر صوتية فى كتاب البيان فى غريب القرآن لابن الأنبارى د. قبارى محمد شحاته	٩
- حروف العلة «دراسة لغوية» د. عبد الحميد عليوة مسعد	١٢٥
- مصطلح علم الحديث والتقعيد النحوى عند سيبويه د. فكرى محمد سليمان	١٨٣

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

حروف العلة
دراسة لغوية

د. عبد الحميد عليوة مسعد
قسم اللغة العربية - كلية الألسن -
جامعة عين شمس

١- مدخل إلى حروف العلة :

درج اللغويون العرب على إطلاق اسم : حروف العلة على حروف : الألف والواو والياء ، من بين حروف العربية الثمانية والعشرين، وإطلاق اسم : الأفعال المعتلة على تلك الأفعال التى تشتمل على أى من هذه الحروف الثلاثة، سواء جاء واحد منها فى أولها، أو فى وسطها، أو فى نهايتها، وسواء حوت تلك الأفعال حرفاً واحداً منها، أو أكثر من حرف. أما بقية حروف العربية، فأسموها بالحروف الصحيحة ، أو بالصوامت الصحيحة ، والأفعال التى لا تشتمل على أى من الحروف الثلاثة. سموها بالأفعال الصحيحة ، أو السالمة . معنى ذلك ، أن ثمة ما يقسم أصوات اللغة إلى صوامت ، وإلى علل. وبتأمل ذلك الفارق نجد أن الصفة الأساسية التى تختص بها هذه الأصوات المعتلة، وتفرقها عن الأصوات الأخرى غير المعتلة، هى حرية مرور الهواء فى أثناء إصدار هذه الأصوات ، ودون أن تعترضه عوائق فى مجرى الفم : من غلق ، أو تضييقَ ، أو انحراف ، أو تكرير ، أو تحول من الفم إلى الأنف . . ، أو غير ذلك من العوائق التى تحدث مع بقيّة الأصوات الأخرى غير المعتلة .

وبمعنى آخر، إن هذه الأصوات الثلاثة تشبه الحركات فى أهم صفة من صفاتها، وهى حرية مرور الهواء من مجرى الفم، ودون اعتراض. لكن هذا الوصف لها ، لايعنى أنها حركات خالصة، فى كل صورها النطقية التى ترد عليها فى اللغة العربية؛ إذ إن هذه الأصوات ، أو الحروف المعتلة ، ترد فى اللغة على صور متنوعة، بعضها - وهى حروف المد - يشبه تماماً الحركات فى كل صفاتها ، بل يمكن القول : إنها هى الحركات الطويلة للحركات القصيرة العربية : الفتحة والكسرة والضمة . لكن بقية صور الحروف المعتلة ، فيها من صفات الحروف الصامتة ما ليس فى الحركات؛ كالخفيف المصاحب للواو والياء : حرفى العلة ، فهما بذلك من أشباه الصوامت نتيجة لهذا الاحتكاك، يضاف إلى ذلك : قصر تحققهما النطقى إذا قيسا بالحركات .

وثمة أشياء أخرى ، غير صوتية ، تجعلهما أشبه بالصوامت؛ حيث تدخل كل من الواو ، والياء فى توزيع المقاطع، كما سنرى فيما بعد. وهناك من يضيف الجهر ، والوضوح السمعى لهذه الحروف المعتلة ، إذا ما قيست بالصوامت ، لكن المتأمل لهاتين الصفتين، يجد أنهما محققتان بدرجة أو بأخرى فى بعض الصوامت أيضاً. من ثم ، استقر الرأى على أن أوضح ما يميز هذه الأصوات الثلاثة ، عن بقية أصوات العربية الأخرى، هو : حرية مرور الهواء معها فى الفم، دون أن تعترضه عوائق .

٢ - مصطلح حروف العلة :

إن مصطلح : حروف العلة ، لم يكن المصطلح الوحيد الذى يطالعنا فى كتب اللغويين العرب، بل نجده مرتبطاً بمصطلحين آخرين، هما : حروف اللين، وحروف المد، أى أن المصطلح العام الذى يمكن جمع هذه الحروف الثلاثة تحته هو : حروف العلة ، واللين ، والمد .

لعل السر فى هذه التسمية ، أتى من أن هذه الحروف ، لاتأتى على صورة واحدة ؛ حيث نجدها مرة محركة ، وأخرى ساكنة ، وثالثة مداً ، أو حركة طويلة لصامت يسبقها .

فمن نظر إليها ، وهى محركة، أى : تعقبها حركات، مثل : وَلد، يَلِد، يَاسر، وَطن ، يَضرب ، وَهب . . الخ ، اعتبرها حروف علة .

ومن نظر إليها، وهى ساكنة ، مثل : بَيْت ، قَوْل، بَيْع، قَوْم . . الخ اعتبرها حروف علة ولين.

أما من نظر إليها على أنها حركات طويلة للصوامت السابقة عليها، فقد اعتبرها حروف مد ، مثل : قال ، باع ، يقوم ، يبيع . . الخ .

يعلل سيبويه لذلك؛ أى لكونها حروف علة إذا تحركت ، بقوله : «وإذا قلت : أريد أن أُعْطِيَهُ حقه ، فنصبت الياء ، فليس لها إلا البيان والإثبات؛ لأنها لما تحرّكت ، خرجت من أن تكون حرف لين، وصارت مثل غير المعتل ، نحو : باء ضَرَبَه ، وبَعُدَ شَبَهُهَا من الألف ، لأن الألف لاتكون أبداً إلا ساكنة [1].

كما يؤكد ابن جنى تلك القوة التى تصير إليها الحروف المعتلة : الواو والياء ، عند تحركهما « فى مثل : الغُيُر ، والعُيَبَة ، والطُّوَل ، والعِوَض ، فتأتى بالياء بعد الضمة ، وبالواو بعد الكسرة ، أنه إنما جاز ذلك من قِبَل أن الياء والواو لما تحركتا ، قويتا بالحركة ، فلحقتا بالحروف الصحاح ، فجازت مخالفة ما قبلهما من الحركات إياهما .

وكذلك إذا أُدْغِمَتا فى مثل قولهم : «اجلَوَّذَ اِجلوّاذاً، واخرَوَّطَ اخرِوَّاطاً،

(١) سيبويه. كتاب سيبويه ٤/ ١٩٣ . تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ط أولى .

فتصح الواو . . . من قبل أنها لما أُدْغِمَت فى التى بعدها قويت ، وضارعت الحروف الصحاح، فجاز ثباتها مع انكسار ما قبلها ، وكذلك قالوا : قَرْن أَلْوَى، وقُرُون لُىّ ، فصحَّحوا الياء الأولى، وإن كانت ساكنة مضموماً ما قبلها، من قبل أنها قويت بالإدغام ، فحصنَّها عن القلب » [1].

أما مصطلح : حروف اللين ، فقد أطلقوه على الواو والياء الساكنتين بعد فتحة، دون الكسرة والضمة ؛ لأننا نعلم الحركات القصيرة أبعاض لحروف المد - كما أشار إلى ذلك ابن جنى - ، بمعنى : أن الحروف المعتلة إذا سبقت بحركة من جنسها وأشبعتها بعدها ساكنة، صارت إلى المد. يقول ابن جنى : « إنك متى أشبعت واحدة منهن - يقصد الفتحة والكسرة والضمة - ، حدث بعدها الحرف الذى هى بعضه . . ، فالفتحة إن اشبعتها حدثت بعدها ألف ساكنة . . ، والكسرة إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة . . ، وكذلك الضمة لو أشبعتها نشأت بعدها واو ساكنة ، فلو لا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف ، وأوائل لها ، لما نشأت عنها، ولا كانت تابعة لها » [2].

معنى ما سبق : أن الواو والياء إذا وردتا ساكنتين بعد فتحة ، فهما حرفا لين ، كما فى : بَيْت ، ونَوْم ، وتثبتان ، لأنهما فى هذه الحالة الحالة تنقصان المد الذى فى الألف ، لكن يبقى فيهما اللين ، لسكونهما بعد حركة خفيفة هى الفتحة. ويعلل المبرِّد لثبوت الواو الساكنة بعد الفتحة بقوله : « وقد بينت لك أنه الفعل اعتل المصدر؛ إذا كان فيه مِثْلُ ما يكون فى الفعل . فإن كان المصدر

---

(١) ابن جنى. سر صناعة الإعراب ١/ ١٩ - ٢٠ دراسة وتحقيق د. حسن هنداوى . دار القلم . دمشق، ط. ثانية ١٩٩٣ .

الغير : جمع غيور. العيبة : الكثير العيب للناس . اجلوذ السفر : طال، ومثله اخروط. قرن ألوى : شديد الالتواء .

(٢) سر صناعة الإعراب ١/ ١٨.

من هذا الفعل على مثال (فَعْل) ثبتت واوه؛ لأنه لا علة فيها. وذلك قولك : وَعَدْتُه وَعْداً ، ووَصَلْتُه وَصْلاً »[1].

أما إذا وردتا ساكنتين بعد كسرة ، أو ضمة ، فهنا ينشأ ثقل يستدعى حذفهما ، أو قلبهما ، أو إدغامهما - كما سنرى فيما بعد - ، وفى هذا يقول المبرد: «اعلم أن هذه الواو إذا كان الفعل على (يَفْعِلُ) سقطت فى المضارع ، وذلك قولك : وَعَدَ يَعِدُ ، و وَجَدَ يَجِدُ ، ووَسَمَ يَسِمُ . وسقوطها ؛ لأنها وقعت موقعاً تمتنع فيه الواوات؛ وذلك أنها بين ياء وكسرة ، وجُعلت حروف المضارع الأُخر توابع للياء ؛ لئلا يختلف الباب، ولأنه يلزم الحرف مالزم حرفاً منها ؛ إذا كان مجازُها واحداً . . . وإن بنيت المصدر على (فِعْلَة) لزمه حذف الواو ، وكان ذلك للكسرة فى الواو، وأنه مصدر فعل معتل محذوف . وذلك قولك : وَعَدْتُه عِدَةً ، ووَزَنْتُه زِنَةً، وكان الأصل وِعْدَة ووِزْنَة ، ولكنك ألقيت حركة الواو على العين ؛ لأن العين كانت ساكنة ، ولا يُبتدأ بساكن [2].

هذا الثقل الناشئ من وجود الواو ساكنة بين ياء وكسرة ، أو من اجتماع الواو مع الكسر، لايكون مع الفتحة قبلها؛ لأن الفتحة حركة خفيفة؛ منفتحة، مخرجها من وسط اللسان، ويكون الفم معها منفرجاً ، واللسان مستلقياً فى قاع الفم دون أدنى توتر، وهذا بعكس الكسرة والضمة اللتين توصفان بأن موضع نطقهما فى الفم من الأمام أو من الخلف، وانفتاح الفم معهما يكون منغلقاً ، وتزيد الضمة مع الانغلاق باستدارة الشفتين [3]. ويؤكد المبرد ذلك بقوله : « فإن كان الفعل على (فَعِل) كان مضارعة صحيحاً - أى : لاتحذف

---

(١) المبرد . كتاب المقتضب ١/ ٢٦٦ تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، ١٣٩٩هـ ، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . لجنة إحياء التراث الإسلامى .

(٢) السابق ١/ ٢٢٦ - ٢٢٧ وانظر سيبويه ٢/ ٢٣٢، ٣٥٨.

(٣) الطيب البكوش. التصريف العربى ٤٦ - ٤٩ تونس ١٩٧٣ .

الواو - إذا كان على (يَفْعَل) ، وذلك قولك : وَجِلَ يَوْجَلُ ، ووَحِلَ يَوْحَلُ ، ووَجِعَ الرجل يَوْجَعُ؛ لأن الواو لم تقع بين ياء ، وكسرة »[1].

ومن ثم ، فلين هذين الصوتين : الواو والياء ، بعد الفتحة يأتى من قلة الكلفة ، والمشقة على اللسان والفم عند النطق بهما ساكنتين بعد فتحة ، وهذا بعكس لو سبقت الواو بكسرة ، والياء بضمة، ففى هذه الحالة يحدث الجمع بين ثقيلين؛ «وليس - كما يقول ابن جنى - ذلك راجعاً إلى الحروف، إنما هو استثقال منهم الخروج من ثقيل إلى ما هو أثقل منه، وأنت لو رُمْتَ أن تأتى بكسرة ، أو ضمة قبل الألف، لم تستطع ذلك ألبتةَ، وكذلك لو تكلفت الكسرة قبل الواو الساكنة المفردة، أو الضمة قبل الياء الساكنة المفردة لتجشمت فيه مشقة وكلفة لا تجدها مع الحروف الصحاح، وذلك أن تقول : قِوْل ، وطِوْل ، ثم تستثقل ذلك ، فتقلب الواو للكسرة قبلها: ياء ، فتقول :قِيل ، وطِيل ، وقد قالتهما العرب مقلوبين هكذا، ونحوهما : مِيْزان ، ومِيْقات ، ومِيْعاد . كل هذا من الواو فى : وَزَنَ ، ووَقَتَ ، ووَعَدَ، وكذلك قالوا : مُوْسِر ، ومُوْقِن ، وأصلهما : مِيسِر ، ومُيْقِن ، فكرهوا الياء بعد الضمة ، فأبدلوها واواً »[2].

إن ابن جنى يسمى التحول الذى أصاب : قول، وطول ، وحولهما إلى : قِيل وطِيل بأنه قلب للواو ياء ، للكسرة قبلها .

ويسمى التحول الذى أصاب الياء بعد ضمة فى : ميقن ، وميسر ، وحولهما إلى موقن ، وموسر ، بأنه قلب للياء واواً ، للضمة قبلها .

هذه واحدة ويعلل ذلك القلب بأنه ناشئ عن الجمع بين ثقيل وأثقل منه،

---

(١) المبرد ١/ ٢٧٧.

(٢) ابن جنى . سر صناعة الإعراب ١/ ١٨ - ١٩ .

أى : حركة الضم أو الكسر ثقيلتان ، والواو والياء الساكنتان أثقل منهما ؛ لأنه فى هذه الحالة قد اجتمع أو تجاور المتنافران ، أو المتقابلان ، وهما الضم والكسر ، «و الضمة والكسرة مستقلتان فى الحروف المعتلة» [1] لأن الضمة تخرج من مؤخر الحنك، والكسرة من مقدم الفم.

هذا كلام لاغبارعليه، لأنه اتجاه عام فى اللغة من الجنوح إلى السهل اللين من الألفاظ ، ولو أدى ذلك إلى القلب ، والأبدال، والإدغام، والحذف . . الخ . ولكن تفسيره لذلك بأنه قلب للواو ياء أو قلب لليـاء واواً فيه نظر ؛ لأنه ليس بقلب ، إنما هو حذف للواو والياء بعد كسرة أو ضمة، أو هو سقوط للحرفين المعتلين دون حركتيهما . هذا السقوط أشار إليه ابن جني، فى مكان آخر من كتابه ، وعلل له ، عندما قال : « وإنما كان الأصل فى قام : قَوَم ، وفى خاف : خَوِف ، وفى طال : طَوُل ، فلما اجتمعت ثلاثة أشياء متجانسة ، وهى الفتحة ، والواو ، أو الياء وحركة الواو والياء ، كُرِه اجتماع ثلاثة أشياء متقاربة ، فهربوا من الواو والياء إلى لفظ تؤمن فيه الحركة (أى : ساكن دائماً ولا يتحرك أبداً) ، وهو الألف وسوغها أيضاً انفتاح ما قبلها ، فهذا هو العلة فى قلب الواو والياء فى قام وباع» [2].

لكننا مازلنا نقول : إنه ليس هروباً من الواو ، أو اليـاء إلى الألف ، بل هو سقوط للواو ، واليـاء تماماً ، مع بقاء حركتيهما ، أو هو سقوط للواو الساكنة بعد كسرة ، أو للياء الساكنة بعد ضمة، ومن الحركتين نشأ المد لحركة الحرف السابق لهما قبل سقوطهما ، أو نشأ المد بفعل النبر الساقط على حركة الحرف السابق لهما بعد سقوطهما ساكنتين.

إذن الضمة والكسرة مستقلتان مع الحروف المعتلة - كما قال المبرد -

---

(١) المبرد ١ / ٢٧٢ .

(٢) ابن جنى. سر الصناعة ١/ ٢٢.

والنتيجة أن الواو والياء تسقطان إذا حدث واجتمع مع الواو كسرة، أو اجتمع مع الياء ضمة . وسواءاً كان الاجتماع مع واو ساكنة أو متحركة لأن الكسرة قبل الواو الساكنة تتحول إلى ياء مد بتأثير النبر الساقط عليها كما فى : قيل وطيل ، وكذلك الياء الساكنة بعد ضم تتحول الضمة إلى واو مد بفعل النبر الساقط عليها كما فى : مُوْسِر ومُوْقِن. أما الواو المتحركة ، أو الياء المتحركة ، فينشأ المد بعد سقوطهما من اجتماع حركة ما قبلها مع حركتها؛ كما أشار ابن جنى : قَوَم > قام خَوِف > خاف، طَوُل > طال ، هَيَب > هاب؛ حيث تقلب حركة الواو أو الياء إلى حركة مجانسة للحركة السابقة الساقط عليها النبر القوي، ومن الحركتين المتجانستين ينشأ المد، وليس القلب حادث للواو أو الياء كما صرح ابن جنى .

وسنعود إلى هذه النقطة المهمة كلما لزم الأمر؛ لأن سقوط حروف العلة، عند حدوث قلب لهذه الحروف يمثل نسبة كبيرة من التغيرات التى تحدث لهذه الحروف فى اللغة العربية .

أما مصطلح المد، فمعناه : أن هذه الحروف الثلاثة : الألف والواو والياء، تأتى على صورة ثالثة ، غير الصورتين السابقتين : حروف علة محركة، أو حروف لين ساكنة بعد فتحة . هذه الصورة الثالثة هى صورة حروف المد ، والمقصود بالمد هنا هو الطول ، وإذا ما علمنا أن الحركات القصيرة : الفتحة ، والكسرة والضمة هى أبعاض لحروف المد واللين ، اتضح لنا أن المقصود بالمد هو أن تصبح هذه الحروف حركات طويلة ، Long Vowels « وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة» [1]. إذن « فقد ثبت بما وصفناه من حال هذه الأحرف أنهن توابع للحركات ، ومتنشئة عنها ، وأن الحركات أوائل لها ، وأجزاء منها،

(١) السابق ١/ ١٧.

وأن الألف فتحة مشبعة ، والياء كسرة مشبعة ، والواو ضمة مشبعة ، ويؤكد ذلك عندما أيضاً أن العرب ربما احتاجت فى إقامة الوزن إلى حرف مجتلب ، ليس من لفظ الحروف [1]، فتشبع الفتحة، فيتولد بعدها ألف ، وتشبع الكسرة، فيتولد بعدها ياء ، وتشبع الضمة فيتولد بعدها واو ، وأنشد سيبويه :

فبَيْنَاَ نَحْنُ نَرْقُبُه أَتَانَا مُعَلِّقُ وَفْضَةٍ وزِنادَ راعِى [2].

حيث أشبع فتحة (بَيْنَ) للضرورة الشعرية ، فحدثت بعدها ألف[3]» والإشباع فى (بين) نوع من الترنم بالفتحة ، وليس مداً لها ؛ لأن المد للحركات يؤدى إلى تغير وظيفي، أى يخل بالنظام الاشتقاقى للغة، مثل : كتب وكاتب، وقتل وقاتل ، فهنا تغير الفتحة إلى فتحة طويلة أدى إلى اختلاف بين الكلمتين، بينما مطلُ - وليس مد - فتحة (بَيْنَ) أدى غرضاً إيقاعياً ، ولم يؤدِّ إلى خلل وظيفى للظرف.

غير أن المد الناشئ عنه حروف العلة ، لم ينشأ فقط عن إشباع الفتحة أو الكسرة أو الضمة؛ حيث رأيناه ينشأ عن اجتماع حركتين قصيرتين متنافرتين ، أو متقاربتين بعد سقوط حرف العلة من بينهما لاجتماع الأمثال ، وبعد سيطرة إحداهما على الأخرى بفعل النبر، أو بفعل أهميتها فى نظام اللغة - كما سنرى - .

بل رأينا المد ينشأ عن سقوط حرف العلة الساكن بعد حركة متنافرة معه ؛ للثقل ، ونشوء المد البديل عنه بفعل النبر الساقط على الحركة السابقة .

---

(١) أى تحتاج إلى صوت تستكمل به إيقاعاً ، ولا يكون له تأثير صوتيمى يخل بالمعنى ، كالغنة ، والترنم، والمطل، كما سيأتى الأستشهاد بذلك.

(٢) الوفضة : الكنانة توضع فيها السهام.

(٣) ابن جنى. سر الصناعة ١/ ٢٣ وانظره بالخرم فى سيبويه ١/ ١٧١ وفى ابن يعيش : شرح المفصل ٤/ ٩٧.

٣ - نظرة علماء اللغة إلى حروف العلة :

يرى د. إبراهيم أنيس أن « أصوات اللين مع أنها عنصر رئيس فى اللغات، ومع أنها أكثر شيوعاً فيها ، لم يُعْنَ بها المتقدمون من علماء اللغة؛ فقد كانت الإشارة إليها دائماً سطحية، لاعلى أنها من بنية الكلمة، بل كعَرَضَ يَعْرِضُ لها ، ولايكون منها إلا شطراً فرعياً ، وليست العربية وحدها هى التى أهمل فى بحثها أصوات اللين، بل شاركها فى هذه أخواتها السامية، ولعل الذى دعا إلى هذا الانحراف، أن الكتابة السامية منذ القدم عنيت فقط بالأصوات الساكنة؛ فرمزت لها برموز، ثم جاء عهد عليها ، أحس الكتاب بأهمية أصوات اللين الطويلة، كالواو ، والياء الممدودتين، فكتبوهما فى بعض النقوش والنصوص القديمة، وظل الحال هكذا حتى وضعت أصوات اللين القصيرة (الحركات) فى العصور الإسلامية .

فالكتابة - التى ليست إلا وسيلة ناقصة للتعبير عن الأصوات اللغوية - صرفت القدماء عن أهمية أصوات اللين، فلم يرمز لها برموز فى صلب الكلمات، كما هو الحال فى الفصيلة الهندية الأوروبية [١].

من النص السابق نفهم أن اهتمام علماء العربية القدامى بحروف العلة واللين والمد كان سطحياً ، لأنهم نظروا إليها كعرض يعرض للكلمة ، أى : ليست إلا شطراً فرعياً منها ، وبتعبير ابن جنى ، نظروا إليها على أنها حروف لين أو مد، وأن الحركات القصيرة ليست إلا أبعاض لحروف اللين.

رسخ هذا الاعتقاد لديهم نظام الكتابة العربية المشتق من النظام السامى الفينيقى القديم؛ الذى لايظْهِر فى مَتْنِه إلا الصوامت دون الصوائت، ومن ثم ،

---

(١) د. إبراهيم أنيس. بحث فى اشتقاق حروف العلة ١٠٤ - ١٠٥ مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ١٩٤٤، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. والأصوات اللغوية ٣٧ط. خامسة ١٩٧٩ مكتبة الأنجلو المصرية.

صاروا ينظرون إلى حروف العلة واللين والمد، على أنها شئ فرعى يعرض للكلمة، كما يقول ابن جنى: «ذلك أن الحرف كالمحلّ ، وهى كالعرض فيه»[1]، وظلت هذه النظرة ملازمة لهم إلى أن أحسوا بأهمية الحركات الطويلة أولاً ، أى : حروف المد : ألف المد، وواو المد وياء المد، فرمزوا لها برموز : (ا . و . ى) ، وأدخلوها ضمن نظام أبجديتهم القديم، ثم فى العصور الإسلامية، بدؤوا فى وضع رموز للحركات القصيرة : ـَـُـِ وللفتحة والكسرة والضمة .

لكننا نلاحظ ، من النص السابق أيضاً ، أن د. أنيس قد أطلق على هذه الحروف : أصوات اللين، وهذا المصطلح ، كما بينا فيما سبق ، ليس سوى إحدى صور ثلاث ، تأتى عليها هذه الحروف فى الكتابة العربية، أو هذه الأصوات فى اللغة العربية، وأن ثمة مصطلحين آخرين تسميان به كل من الواو والياء عندما تكونان حرفى علة، أو حرفى لين ، أما الألف ، فلا تكون إلا على صورة واحدة : حرف مد؛ لأنها لا تأتى إلا ساكنة، أي: إشباع لفتحة قبلها، أما الواو والياء ، فكما تأتيان حركتين طويلتين : حرفى مد ، تأتيان فى صورة حرفين صامتين أيضاً : أما إذا سكنتا بعد فتح ، فهما حرفا لين .

لقد أحس القدماء بذلك إحساساً كبيراً ؛ فنجدهم يتناولون هذه الأحرف بالمدرسة المكثفة فى كل كتبهم، وهذا على عكس ما يرى د. أنيس؛ حيث عرضوا لكل التحولات التى تحدث لهذه الأحرف، وعلى كل مستويات البحث اللغوى ، والصرفى ، والنحوى .

بل ليس علماء العربية وحدهم الذين اهتموا بحروف العلة واللين والمد ، عند دراستهم لأصوات اللغة ، فهذا (أرسطو) يضع مصطلحات ثلاثة لتقسيم حروف العلة إلى : مصوّت ، ونصف مصوّت ، وصامت .

---

(١) ابن جنى. سر الصناعة ١/ ٢٨ .

و«المصوِّت هو الحرف الذى له صوت مسموع من غير تقارب اللسان والشفاه، ونصف المصوت هو الحرف الذى له صوت مسموع مع هذا التقارب، ومثاله : حرفاً (Σ) { أى : س اللايتنى } ، و (P) { أى : ر اللايتني} ، والصامت هو الذى فيه هذا التقارب ، ولكن ليس له بذاته أى صوت ، وإنما يصبح مسموعاً إذا كان مصحوباً بحروف لها صوت ، ومثاله الحرفان : (ⵆ) {أى: گ الجاف الفارسية أو الجيم القاهرية} و (Δ) {أى: د اللاتينية}[1].

بمعنى : أننا نجد تفريقا - لدى أرسطو - بين أصوات اللغة على أساسين مجتمعين ، الأول : فزيائى مسموع ، والثانى : نطقى موضعى .

فالمصوِّت لدى أرسطو ، يعنى : الحركات Vowels، وهذا هو الذى له صوت مسموع. أما الصامت لديه ، فيعنى الحرف Consonant، فهذا لاصوت له ، إنما له موضع تتقارب فيه أعضاء النطق: من لسان وشفتين عند النطق به ، ونحس بمكانه فيها ، لكننا لانسمعه إلاّ إذا انضم إليه المصوِّت ، فهو يجمع بين النوعين السابقين؛ أى نحس بموضعه لتقارب يحدث بين أعضاء النطق عند إصداره، ونسمع صوته عند هذا التقارب ، وهذا هو ما سمَّاه علماء اللغة المحدثون بأنصاف الصوامت، أو بأشباه الصوامت، أو سمُّوه بأنصاف أصوا اللين ، أو بأشباه أصوات اللين ، وهم فى كل هذه التسميات يعنون : الواو والياء العربيتين .

لكننا نرى أن هذا التحديد الأخير إنما هو على خلاف ما كان يقصده أرسطو من : (نصف المصوِّت) ، لأنه أشار إلى هذا النوع بمجموعة من الأصوات الأخرى من بينها الراء ، والسين ، كما أشار .

---

(١) د. محمد أمنزوى: أشباه الصوائت فى اللغة العربية ٤٨ مجلة اللسان العرب. نقلاً عن : أرسطو طاليس : فن الشعر. ترجمة د. عبد الرحمن بدوى ٥٥. د. دار الثقافة . بيروت ١٩٨٠مصور عن ط. ١٩٥٢ .

بمعنى: أن «مصطلحهم شبه المصوِّت، أو نصف المصوِّت (Semi vowels) قد انتقل إلى اللغات الأوربية الحديثة ، بعد أن جُرِّدَ تماماً من المفهوم الاصطلاحى الإغريقى ، وحُمِّل مفهوماً جديداً » [1].

وتسمية الواو والوياء الصامتين (بشبه صائت) ، كان د. أنيس من أوائل ، إن لم يكن أول ، من أدخلها إلى العربية؛ حيث يرى أن « فى تكوين الياء بدأت أعضاء النطق بمخرج الكسرة، ثم انتقلت بسرعة إلى مخرج الفتحة، وفى مثل هذه العملية ينتج الياء التى لها خصائص الأصوات الساكنة { يقصد : الصامتة } ؛ لأنه يسمع عند النطق بها نوع من الصفير، أو الحفيف ، وإن كان ضعيفاً جداً ولها خصائص أصوات اللين { يقصد : الحركات } ؛ لأنها ليست فى الحقيقة إلا نتيجة الانتقال بين صوتى ليس {يقصد : حركتين } ، وكذلك الواو، بدأت أعضاء النطق معها بمخرج الضمة، ثم انتقلت بسرعة إلى مخرج الفتحة ، ولهذا سميت الياء ، والواو فى نحو : وَلَد ويَسر . . أنصاف أصوات اللين » [2].

بمعنى : أنه يرى أن « الواو والياء صوت انتقالى » ؛ أى : عند النطق به يحدث انتقال من موضع نطق حركة ، إلى موضع نطق حركة أخري، كما سبق أن أوضح .

لكننا نجده فى كتابة : الأصوات اللغوية ، يعنى بالصوت الانتقالى معنى آخر ، حين يقول : « ففى تكوين الياء نلحظ أن اللسان يكون تقريباً فى موضع

---

(١) د. محمد أمنزوى ٤٩. وقد عرض د. أمنزوى لتطور المصطلحات : صامت ، وحركة وشبه صائت أو Semi Vowel - Vowel Consonant من خلال استعراض استخدام الأوربيين والعرب لهذه المصطلحات فى كتبهم وأبحاثهم فليرجع إليه من يشاء، وأخيراً، ارتضى تسمية : شبه الصائت مصطحاً لهذين الحرفين : (W.Y) أو الواو والياء من بينها.

(٢) د. أنيس. بحث فى اشتقاق حروف العلة ١٠٥ - ١٠٦ والأصوات اللغوية ٤٢ - ٤٣ .

النطق بصوت اللين (i) ، مما يترتب عليه أننا نسمع ذلك النوع الضعيف من الحفيف ، فالياء لأنها تشتمل فى النطق بها على حفيف ، يمكن أن تعد صوتاً ساكناً { يقصد : صامتاً } ، أما إذا نظر إلى موضع اللسان معها ، فهى أقرب شبهاً بصوت اللين (i) ، ولهذا اصطلح المحدثون على تسمية الياء بشبه صوت لين.

وكذلك الواو ، لافرق بينها وبين الضمة (u) إلا فى أن الفراغ بين أقصى اللسان ، وأقصى الحنك فى حالة النطق بالواو، أضيق منه فى حالة النطق بالضمة (u) ، فيسمع الواو أيضاً نوع ضعيف من الحفيف، جعلها أشبه بالأصوات الساكنة { يقصد : الصامتة } . أما حين ينظر إلى موضع اللسان معها، فيمكن أن نعدها شبه صوت لين (u) .

فالياء والواو هما المرحلة التى عندها يمكن أن ينتقل الصوت الساكن {يقصد : الصامت } إلى صوت لين »[1].

نحن - إذن - أمام مفهومين للصوت الإنتقالى : الياء والواو ، الأول: يرى أن مخرجه يبدأ فى التكون من مخرج الكسرة، أو الضمة، ثم ينتقل بسرعة ، قبل أن ينتهى النطق به ، إلى مخرج حركة أخري، هى الفتحة ، وهذا ما يعرف فى الأوربيات بالصوت المزدوج Diphthong .

ولنا هنا تعليق على وصف د. أنيس لتكوُّن لاصوت داخل الفم، إذ يظهر من وصفه له أنه ينطق به أولاً ، ثم يعقبه بفتح الفم فتحة خفيفة ، ولعل هذا هو السر فى اعتقاده بأن الصوت الانتقالى: الواو أو الياء ، يبدأ فى التكون من منطقة تكون الضمة أو الكسرة، ثم ينتقل إلى منطقة تكون الفتحة . فى حين يفهم من وصف الخليل للأصوات، أنه كان يبدأ بإخراج الهواء حرا طليقاً عبر

---

(١) د. أنيس . الأصوات اللغوية ٤٢ .

الفم، مثل قولنا : آاااا . . ، ثم يقف فجأة على مخرج الصوت بالسكون هكذا : آاااات ، آاااو ، آاااى ، آاااس ، . . . الخ .

وهنا لايَعقُب الصوتَ فتحةٌ أو غيرها ، ولعل هذا هو السر فى تصوره الأول للصوت الانتقالى ، بأه انتقال من مخرج نطق حركة إلى مخرج نطق حركة أخرى .

الثانى : يرى أن الصوت الانتقالى يبدأ من مخرج إحدى الحركتين : (i) أو (u) ، لكنه لاينتهى على صورة الكسرة الخالصة؛ أو الضمة الخالصة ؛ التى يخرج معها الهواء فى حرية وانطلاق وجهر ، ولاتعترضه عوائق ، لكنه قبل انتهاء النطق به ، يحدث له ، وفى نفس موضع تكوُّنه الأول هذا ، نوع من الضيق فى مخرجه، ينتج عنه نوع ضعيف من الحفيف المسموع، فيقترب به من الصوامت الاحتكاكية، ويُبْعِدُه عن الحركات الخالصة .

وأرى أن هذا التفسير الأخير لنطق الواو والياء العربيتين، هو الأصح بتسميتهما : أصواتاً انتقالية، أو حروف علة.

لأن المفهوم الأول، إذا تحقق فى لغات أخري، كالأوربيات ، فإنه غير متحقق فى اللغة العربية ، لسبب بسيط، هو أن نظام العربية المقطعى يبدأ تكون المقطع فيه بصامت متبوع بحركة قصيرة (المقطع المتحرك)، أو بحركة مخطوفة، وهى فتح الفم بعد النطق بالصامت فتحة خفيفة ، حتى يسمع الصوت، وهو ما نسميه بالمقطع الساكن [1]، ولا يعرف نظام العربية المقطعى ذلك النوع من المقاطع الأوربية المشتمل على حركتين مختلفتين فى الكيف بعد الصامت . كما نجده فى الألمانية فى مثل : s.Stein حجر ، e.Frau سيدة ، r.Raum فضاء ، r. Raub سلب أو نهب حيث يبدأ تحريك المقطع بالحركة

(١) راجع بحثنا : اتجاه حديث فى دراسة موسيقا الشعر العربى. القاهرة ٢٠٠٠.

الأولى وهى الفتحة وقبل أن ينتهى النطق بالمقطع نجد انزلاقاً حركياً إلى حركة أخرى هى (i) أو (u) على الترتيب. هنا يصح أن يطلق على هذا الحدث الفيزيائى السمعى، أو الحدث الموضعى النطقي، أنه صوت انتقالى أو انزلاقى Glide، وهو نوع ثالث من الحركات، غير الفتحة الصريحة والكسرة الصريحة والضمة الصريحة، وغير ألف المد، أو واو المد، أو ياء المد العربية.

كما نلاحظ على هذا الصوت الانزلاقى أيضاً ، أنه فى نطقه يكون تالياً لصامت قبله، مشكلاً له ومميزاً له ، وهذا بخلاف الواو والياء العربيتين الصامتيين اللتين ترد ان مفتوحتين أو مكسورتين أو مضمومتين، بل وتردان ساكنتين أيضاً كما رأينا فى حرف اللين . أما الواو والياء المدتين ، فقد أخرجناهما من أشباه الصوائت؛ لأنهما مع ألف المد صوائت طويلة بالفعل أى حركات طويلة صريحة للفتحة والكسرة والضمة.

إذن ، الواو والياء الصامتين العربيتين، لا يمكن عدُّهما صوتين انتقاليين، أو أصوات مزدوجة كما يحلو للبعض تسميتها، وفقاً للمفهوم الحركى الأول، ويمكن لنا - مع التحفُّظ - عدُّهما صوتين انتقاليين بالمفهوم الثاني، الذى يجمع بين الصوائت والصوامت فى حالة تشكُّلهما داخل الفم ؛ فهما شبه صائتين إذا نظرنا إلى بداية تشكُّلهما وتكوُّنهما، وهما شبه صامتين إذا نظرنا إلى انتهاء تشكلهما وتكونهما .

«فكل من الياء والواو صوت انتقالى من أجل هذه الصفة الانتقالية، ولقصرهما ، وقلة وضوحهما فى السمع، وإذا قيسا بأصوات اللين، أمكن أن يعدا من الأصوات الساكنة { يقصد : الصامتة} . فللياء والواو طبيعة مزدوجة [1].

---

(١) د. أنيس . الأصوات اللغوية ٤٣.

وقد وصف روسلو / لاكلوط أشباه الصوائت ضمن الصوامت، ونعتاها بالصوامت المصمتة، وهم فى تمييزهم لها إنما اعتمدوا على «مقياس صوتياتى نطقى يتمثل فى قِصَر مُدَّة التحقق النقطى فى أشباه الصوائت ، إذا قيست بالصوائت » [1].

كما أن وصف الواو والياء بأنهما أصوات انتقالية ، نجده مسجلاً فى المعاجم الاصطلاحية، لكن بمفهوم أشمل وأعم مما سبق؛ ففى معجم اللسانيات الذى أشرف على تأليفه (ج. مونتان) يقول : « يقصد بالمصطلحين : شبه صائت، وشبه صامت ، المترادفين عند عدد كبير من المؤلفين : الإنتاجات الصوتية خصوصاً (J) ، (W) ، (U) التى يمكن النظر إليها على أنها صنف وسط بين الصوامت، والصوائت ؛ لخصائصها النطقية (الانفتاح)، وتوزيعها داخل المقطع» [2]. ويذكر أن بعض علماء الأصوات يميزون بين شبه الصائت، وشبه الصامت؛ فهو شبه صامت حين يقع قبل قمة المقطع، كما فى كلمتى : تبيان tibia:n ، وأقوال aqwa:L ، وهو شبه صائت حين يقع بعد القمة المقطعية ، كما فى كلمتى بيض baid، وحوض ħawd . . ، ثم يشير إلى أن علماء الأصوات الأنكليز يستعملون مصطلحاً عاماً هو : الانزلاقى Glide الذى يتميز على صعيد السمات الفيزيائية بأنه ليس صائتياً ، ولا صامتياً »[3] بمعنى : أن أشباه الصوائت : الواو والياء العربيتين صنف ثالث ، غير الحركات ، قصيرها وطويلها ، وغير الصوامت، إنها صنف يجمع بين الصوائت والصوامت، فيه من الصوائت: الانفتاح، وحرية مرور الهواء من الفم، وخروجه من مخرج الحركة. وفيه من الصوامت: الاحتكاك، والتضييق فى المخرج، والقصر

(١) د. محمد أمنزوى ٤٩ .

(٢) السابق. نفس الصفحة . والرمز (ɥ) يقصد به الصوت (o) الموجود فى اللهجة المصرية فى قولنا : يوم ، ونوم ، وعوم . . الخ.

(٣) السابق . ٥١ .

النطـقى، وقلة الوضوح الـسمعى إذا قيسـت كل من الواو والياء بـالحركات ، وقدرته على بناء المـقطع؛ حيث تشكل كل من الواو واليـاء فى العربية (وديان المقاطع)؛ فقد تأتى الواو، أو الياء فى بدايـة المقطع ، أى : قبل قمته الحركية - كما أشرنا من قبل - وسميناها بـحروف العلة فى مثل : ولد ، ويلد ، وقد تأتى الواو ، أو الياء بعد قمة المقطع الحركية ، وهى تلك التى سميناها بحروف اللين، فى مثل : بيت ، ونوم.

بمعنـى : أن علماء اللغـة الإنجليز عندمـا نظروا إلى الواو واليـاء، كصوت انزلاقى ، نظروا إليـه من زاوية دخوله فى تكوين المقطع؛ فـالواو أو الياء قبل قمـة المقطـع (الحركية) شـبه صامـت؛ لأنه حرف يـحمل حركـة، فهو أشـبه بالصـوامت الأخري، كمـا فى (يكتـب) ، (ولد) . . الخ ، والواو، أو الـياء الساكنة بعد قمـة المقطع شبه صائت؛ لأنه حرف لين يكمل المـقطع ، فهو أشبه بالحركات الطويلة ولكن دون المد فـيها مثل : بيت ، ويوم . . .الخ، وهم فى هذا يتفقون مع علماء العربية القدماء عندما وصفوا الأول بحرف العلة، والثانى بحرف اللين، أما حروف المـدّ فهم يتفقون معهم فى أنهـا ليست سوى الحركات الطويلة Long Vowels بتعبير أكثر وضوحاً واختصاراً.

تتوزع حروف العلة واللين والمدّ العربية على النحو التالى :

- تكون قِمَماً مقطعية حالاتها المدية مثل : قال ، مسلمون ، كبير.
- تكون وديااناً مقطعية فى بأدائه فى مثل : يَحْضَرُ ، وَجد.
- تكون وديااناً مقطعية منهية للمقطع فى مثل : بَيْت . نَوْم .

«إن بعض الأصوات مؤهلة بحكم خصائصها الذاتية، ووظيفتها فى نظام اللغة، لأن تكون الصـوت الأساسى فى المقطع ، عـلى حين يحتل بعـض آخر مركزاً ثانوياً فى تكويـن المقطع ، وتمتاز الأصوات المقطعية بأنهـا فى الغالب صوائت،

أو صوامت من النوع الذى يحمل شبهاً قوياً بالصوائت، وتتصف هذه الأصوات من حيث إصدارها بأنها ذات تطق واسع مفتوح Open articulation من حيث فيزيقيتها بالرنين.

أما الأصوات غير المقطعية، فتتصف على عكس ذلك بالنطق الضيق وانعدام الرنين»[1]. ومن ثَمَّ كانت الأصوات المعتلة :

(و.ا.ى) نتيجة لطبيعتها النطقية، وصفاتها الصوتية، قادرة على أن تشكل قمم المقاطع فى اللغة العربية، وعلى أن تُشَكِّل وديانَها أيضاً .

٤ - التحولات التى تطرأ على حروف العلة واللين والمدّ:

تسمى التحولات الصوتية التى تحدث للأصوات نتيجة لتأثرُّها بعضها ببعض بالقلب والأدغام؛ «وأقصى ما يصل إليه الصوت فى تأثره بما يجاوره، أن يَفْنَى فيه الصوت المجاور، فلا يبقى له أثر، وفناء الصوت فى صوت آخر هو ما اصطلح القدماء على تسميته بالإدغام، وتأثرُّ الأصوات اللغوية بعضها ببعض ليس مقصوراً على الأصوات الساكنة (يقصد : الصامتة) ، بل قد يكون أيضاً فى أصوات اللين، وهو مايسمى بانسجام أصوات اللين Vowel Harmony [2].

والقلب الذى يطرأ على حروف العلة، ويحولها إلى حروف لين، أو مد، راجع فى أساسه إلى إحداث نوع من الانسجام فيما بينها؛ فحروف العلة واللين والمد - كما أشار ابن جنى - كانت فى أساسها حركات : الفتحة والكسرة والضمة؛ « فإنك متى أشبعت واحدة منهن، حدث بعدها الحرف الذى هى بعضه، وذلك نحو فتحة عين (عَمَرَ) ، فإن أشبعتها حدثت بعدها (ألف) ، فقلت: عَامَرَ ، وكذلك كسرة عين (عِنَب)، إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة،

(١) د. سعد مصلوح . دراسة السمع والكلام ٢٢٦ عالم الكتب ١٩٨٠.

(٢) د. أنيس . الأصوات اللغوية ١٨٢.

وذلك قولك: عينب ، وكذلك ضمة عين (عُمَر)لو أشبعتها لأنشأت بعدها واواً ساكنة، وذلك قولك : عُومَر، فلولا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف، وأوئل لها ، لما نشأت عنها ، ولا كانت تابعة لها[1].

بمعنى : أن أول تحول نسجِّله على هذه الحروف المعتلة ، هو ما يسمى بالمدّ، أى : تحولها إلى حروف مد ، وأن هذا المدّ ناشئ - فى بعض منه - عن إشباع للحركات القصيرة، وسبق لنا أن علمنا لماذا تلجأ اللغة إلى مثل هذا الإشباع، « فالعرب ربما احتاجت فى إقامة الوزن إلى حرف مُجْتَلَب ، ليس من لفظ الحروف، فتشبع الفتحة . . . »[2].

وقد تستخدمه اللغة وسيلة من وسائل تنويع الاشتقاق، لاستخراج مختلف المعانى من الجذْر، أو لإحداث فروق معنوية، أو لغايات تمييزيه بين صيغة وأخري، مثل : كَتَبَ وكَاتَبَ، وقَتَلَ وقَاتَلَ . . الخ.

لكن المتأمل لحروف المد العربية، يلاحظ أنها لم تنشأ كلها عن إشباع للحركات القصيرة، لكن - وكما سبق أن علمنا - من سقوط لحروف العلة دون حركاتها، حينما تجتمع الأمثال ، حيث يسقط حرف العلة بين علتين، وينشأ من الحركتين المتبقيتين المد الطويل ، بعد أن تتغلب إحداهما على الأخرى ، لأسباب موضوعية محددة فى كل حالة.

صحيح أن ابن جنى هو صاحب ملمح السقوط؛ لاجتماع الأمثال، لكنه لم يحسن تفسير هذه الظاهرة التى تحكم حروف العلة فى أغلب تحولاتها، واكتفى بالقول : إنها راجعة إلى الثقل الناشئ عن اجتماع الثقيلين، ومرة أخرى بأن العرب كرهوا الخروج من الضم إلى الياء ، أو كرهوا الخروج من الكسر إلى الواو ، أو من الكسر إلى الألف. وقد سبق إيراد نصه الذى أشار

(١) ابن جنى . سر الصناعة ١/١٨.

(٢) السابق . ١/٢٣.

فيه بأنه « استكراههم الخروج من كسر إلى ضم بناء لازماً ، فليس ذلك راجعاً إلى الحروف، إنما هو استثقال منهم الخروج من ثقيل إلى ما هو أثقل منه . . . »[1]، بل ، وأضاف إليه : « وكذلك إن انكسر ما قبل الألف ، أو انضم ، قلبت الكسرة ياء ، والضمة واواً ، وذلك الياء فى (قَراطيس) إنما هى بدل من لألف فى (قِرطاس)، والواو فى : (ضُوَيْرِب) إنما هى بدل من الألف فى (ضارب) »[2].

بمعنى : أنه علل السقوط بالثقل الناشئ عن اجتماع المثلين : ضمة بعد واو، أو كسرة بعد ياء ، أو ناشئ عن اجتماع المتنافرين : ضمة بعد ياء أو كسرة بعد واو ، وفى كلتا الحالتين يكون الاجتماع ثقيلاً فى النطق ، وإن كان التماثل أثقل من التنافر ؛ لكون التنافر فيه تنوع حركى من الخلف للأمام، أو العكس ، وهذا ولاشك ، أسهل على اللسان من النطق بحركتين ثقيلتين متماثلتين ، لكون اللسان يكره، أو يَثْقُل عليه العودة إلى موضع واحد مرات متعددة فى كلمة واحدة، وهو ما أسماه العرب بفصاحة الألفاظ، عند خلوها من مثل هذا التماثل، ومثّلوا له بكلمة : (مُسْتَشْزِرات) فى بيت امرئ القيس الشهير، حيث تتقارب مخارج ألفاظ هذه الكلمة، أو تتحد فى كلمة واحدة.

النتيجة أن العرب فى مثل هذه المواضع، أسقطوا حرف العلة، ثم أدغموا إحدى الحركتين الثقيلتين فى الأخرى بعد قلبها؛ لينشأ عنها مد طويل للحركة الأولى . أو أدغموا واحدة فى الأخرى فقط لينشأ عن الأولى مد طويل .

وإدغام الحركات بعضها فى بعض يكون بقلبها إلى حركة مماثلة للأخرى التى ستُدغَم فيها ، لينشأ عَن هذا الإدغام مدٌّ للحركة الأولى . وهذا يختلف

---

(١) انظر النص فى هامش (٨) .

(٢) السابق نفس الهامش.

عن إدغام الصوامت؛ إذ يتطلب ذلك أن يسكن أحد الصامتين، ثم يُبدَل إلى حرف مماثل للحرف الذى سيدغم فيه، فينشأ عن الإدغام الصوت المُضَعَّف.

لقد سبق لنا القول : إن ذلك النص من ابن جنى يفسر لنا جوانب مهمة فى تحولات حروف العلة؛ منها :

كيفية تحولها من حروف علة إلى حروف مدّ .

ومنها : كيفية تحولها من حروف علة إلى حروف لين، وفسّر هذا الأخير بأنه تحول من الصيغة التى على وزن (فِعْل) فى مثل : قِوْل ، وطِوْل ، إلى صيغة (فَعْل) التى ارتضوها اسماً ومصدراً ، فقالوا : قَوْل ، طَوْل ؛ حيث ورد حرف العلة فى الصيغتين ساكناً ، لكنه مسبوق بكسرة، وهى لاتناسب الواو؛ لاجتماع المتنافرين، فثَقُل ذلك على اللسان، فحوّلوا الكسرة إلى فتحة؛ لأن الفتحة تجانس الضمة وتجانس الكسرة، أى تقع موقعاً وسطاً بين الضمة الخلفية والكسرة الأمامية، ومن ثمَّ تَسهُل الفتحة قبل الواو ، كما تسهل قبل الياء ، وهذا يفسر لنا لماذا تسهل حروف اللين على اللسان ، ولماذا تثبت الواو والياء الساكنتين مع الفتحة ولا تحذفان أو تدغمان.

كان يمكن لهذا الصيغة أن تستمر فى التحوُّل، لكنها وقفت عند هذا الحد، أى حد التحول إلى حرف لين ساكن مسبوق بفتحة؛ لأنهم قصدوا بها أن تكون اسماً ، ومصدراً على هذا الوزن (فَعْل) ، فلمَّا تحقق لهم ما أرادوا ، مع سهولة لفظه ، وقفوا به فى تحوله إلى هذا الحد، ليكون الوزن واحداً فى كل من الصحيح والمعتل؛ لاحظ: ضَرَبَ ضَرْباً، فَتَحَ فَتْحاً ، أَكَلَ أَكْلاً، وكذلك : قَالَ قَوْلاً ، وبَاعَ بَيْعاً وحَالَ حَوْلاً، وطال طولاً . . الخ.

ثَمَّة ملاحظة يمكن تسجيلها ، وهى أن حروف العلة، عندما تتحول فى أوزان اللغة إلى حروف لين، أى تُسكَّن، فإنها لاتستقر على حالتها اللينة تلك إلا إذا سُبِقَت بفتحة، وهى فى هذا تختلف عن الحروف الصحيحة التى يمكن

أن تسكن وتسبق بضمة أو بكسرة، مثل : شَرِبَ شُرْباً، ولِعَبَ لعباً . . الخ ، « على أن من العرب من يقلب فى بعض الأحوال الواو والياء الساكنتين ألفين للفتحة قبلهما ، وذلك نحو قولهم : فى الحِيْرة : حَارِىّ وفى طِيِّئ : طَائِىّ ، وأجاز غيرُ الخليل فى «آية» أن يكون أصلها «أَيَة» ، فقلبت الياء الأولى ألفاً لانفتاح ما قبلها. وقالوا : أرض داوِيَّة ، منسوبة إلى الدَّوِّ، وأصلها : «دَوِيَّة» فقلبت الواو الأولى الساكنة ألفاً لانفتاح ما قبلها ، إلا أن ذلك قليل غير مَقيس عليه غيره » (١).

بمعنى : أن التحوُّل من العلة إلى اللين، رغم سهولته على اللسان ، واطراده فى القياس مع نظيره الصحيح ، كان يمكن له أن يستمر فى التحول إلى صورة المدِّ ، بدليل وجود نماذج منه - كما سبق فى النص-، لكن هذا التحول لم يكتب له الحدوث مع صيغة اللين.

بل « تميل اللهجات العربية إلى التخلص من نصف العلة المُشكَّل بالسكون والمفتوح ماقبله عن طريق تغييره هو والفتحة بحركة طويلة من جنسه : فتحة + و ← ضمة طويلة مُفَخَّمَة : ضَوْء ← ضُوْء ، لَوْز ← لُوْز. وفتحة + ىْ ← كسرة طويلة مفخمة : بَيْت ← بِيت ، عَيب ← عِيب» (٢).

لكن يظل هذا التطور ، أو ذاك تطوراً لهجياً ، وهو تطور يجب أن يدرس دراسة مستقلة ، كما سبق لنا أن أشرنا إلى مثل تلك الظواهر فى اللهجات.

وليست كل الصيغ المعتلة تكون مفتوحة قبل حروف اللين الساكنة؛ فثمَّة صيغ يلزم فيها أن تكون مضمومة، أو مكسورة، بل ليست كل واو أو ياء تأتى ساكنة وهذا ما أشرنا إليه في تعليل ابن جنى السابق، لسر سقوط الواو أو الياء بعد الضمة أو الكسرة، للثقل الناشئ عن اجتماع المتماثلين، أو المتنافرين.

(١) السابق ١/ ٢٣.

(٢) د. أحمد مختار عمر . دراسة الصوت اللغوى ٣٩٣ عالم الكتب، ١٩٩١.

فثمة تحوُّل يطرأ على الواو والياء عند بناء الأفعال المعتلة للمجهول ؛ فالواو فى : فالواو فى: قول ، وطول ، يلزمها التحرك بالكسر ، وأن تسبق بضمة، كما هو القياس فى بناء الثلاثى للمجهول، فنقول : (قول وطول) فاجتمعت الأمثال الثلاثة : الضمة والواو والكسرة، فسقطت الواو ، أن حذفت ، فالتقى الثقيلان: الضمة والكسرة ، فكان لابد من الإدغام بتغليب إحدى الحركتين على الأخري، وتحويل الثانية مدا لها ، فلمن تكون الغلبة؟ وبخاصة أن كلتا الحركتين فى صيغة البناء للمجهول يجب مراعاتها فى هذا الوزن المميز للفعل المبنى للمجهول.

باستقراء منهج العرب فى التعامل مع الفعل الثلاثى الجذور ، نجد أنهم قد أعطوا لحركة عين الفعل أهمية كبيرة على ماسواها ، ويتضح ذلك من جدول تصريف الثلاثى ، و من ثمَّ ، تصبح الكسرة هى الأكثر أهمية ومراعاة، ومن ثم ، قلبت الضمة إلى كسرة لمناسبة الكسرة، ومن الكسرتين نشأ المد الموجود فى صيغة البناء للمجهول، فقالوا : قيل ، طيل ، بيع ، نيم ، صيم . . الخ.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قس على ذلك بقية الأوزان الأخرى التى ذكرها ابن جنى فى نصه المشار إليه سابقاً ، مثل : (مِيزان) على وزن (مِفْعال) ، وكذلك : مِيْقات، ومِيْعاد والأصل فيها: مِوْزان ، ومِوْقات ، ومِوْعاد فاجتمع الثقيلان المتنافران: الكسرة والواو، وهم « كانوا يستكرهون الخروج من كسر إلى ضم بناء لازماً . . لأنه خروج من ثقيل إلى ما هو أثقل منه» ، فما التحول الذى أحدثوه للخروج من ذلك الثقل ؟ غَلَّبوا كسرة الميم على الواو الساكنة؛ لأسباب ، منها : أن الميم حرف صحيح مُحَرَّك بالكسرة، والحركة زادته قوة على قوة .

ومنها ، أن الوزن المقيس عليه هو : (مفعال) ، مكسور الأول.

ومنها ، أن الواو حرف علة ضعيفة سريع القلب والحذف والإبدال ، وقد جاء ساكناً ، فازداد ضعفاً على ضعف. ومن ثَمَّ ، كانت الغلبة لكسرة الميم، فأبدلت الواو ياء ساكنة لتناسب الكسرة قبلها فى المد.

إذن التحول الذى أصاب حروف العلة، قد سار فى اتجاهين : اتجاه اللين؛ بتسكينها بعد فتحة ، والوقوف بها عند هذا الحد.

واتجاه تحويلها إلى حروف مد من جنس الحركة السابقة عليها، وهذا الاتجاه الأخير وجدنا له سبلاً متعددة :

إما بإسقاط حرف العلة عندما تجتمع الأمثال ، ومن إدغام الحركتين ينشأ المد الطويل .

وإما بتغليب إحدى العلَّتين على الأخرى لأسباب موضوعية فى كل حالة فتقلب العلة الأخرى إلى علة مماثلة لها ، ومن الإدغام ينشأ المدُّ .

اللافت للنظر اطراد هذه القواعد فى معظم التحولات التى تطرأ على حروف العلة ، وبتتبع الصيغ التى ذكرها ابن جنى فى نصه ، بل وغيرها من أمثلة لم يوردها، ونجد اطراداً لمعظم تحولات حروف العلة على هذا النسق:

ففى المثال الثالث الذى أورده، وهو اسم الفاعل من غير الثلاثى : مُوسِر، ومُوقِن، تطَّرد القاعدة؛ حيث نعلم أن اسم الفاعل من غير الثلاثى يصاغ على وزن مضارعة، مع إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل الأخير.

و(مُوسِر) كان قياسها: مُيَسِر ، و (مُوقِن) كان قياسها : مُيْقِن ، فاجتمع الثقيلان : الضم والياء ، ولما كان الضم الأول ذا أهمية فى تمييز صيغة اسم الفاعل من غير الثلاثى، أبقى عليه، وقلبت الياء الساكنة واواً ساكنة؛ لأنها تناسب مد الضم، فصارت : مُوقِن ، ومُوسِر .

وفى صيغة التصغير : (ضُوَيْرِب) المشتقة من (ضارِب) ، نجد اطّراداً للقاعدة أيضاً ؛ فألف ضارب نشأت من إشباع فتحة الضاد؛ للتنويع الاشتقاقى : اشتقاق اسم الفاعل من : ضَرَبَ .

وعندما أرادوا اشتقاق صيغة التصغير من ضارب، اضطردت القاعدة؛ بدورها؛ حيث يضم الأول، ويفتح الثاني، وتضاف ياء ثالثة ساكنة فى الوزن الذى ارتضوه للتصغير.

فضُمَّت الضاد بعد أن كانت مفتوحة ، فتحولت ألف المد إلى واو مد ساكنة ؛ لاستحالة النطق بالألف بعد ضمة - كما قال ابن جنى -، ثم أضيفت ياء ثالثة ساكنة بعد الواو الساكنة، فصارت : ضُوْيْرب ، فالتقى ساكنان ثقيلان: الواو والياء ، والقاعدة تقول : بحذف الساكن الأول إذا كان حرف علة . لكن لو تم الحذف سيختل وزن التصغير خاصة أن الحرف الثانى فى وزن التصغير يحمل نبراً قوياً ، ولايسقط النبر فى اللغة إلا على مقطع متحرك، فما كان منهم إلا أن تخلصوا من التقاء الساكنين بتحريك الواو بالفتح، وأبقوا على الياء الساكنة الثالثة فنشأ اللين السهل على ألسنتهم : ضُوَيْرِب، وحافظت الصيغة على صورتها المصغَّرة.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وتطرد القاعدة أيضاً عند اجتماع حركتين متماثلتين؛ فى مثل : يدعو، ويسمُو؛ فالأصل : يَدْعُوُ ، ويَسْمُوُ، فأدى اجتماع الأمثال الثقيل إلى سقوط الواو بين ضمتين، ومن الأدغام نشأ المَدُّ، وصارت : يَدْعُو على وزن يَفْعُو .

وتطرَّد القاعدة عند اجتماع علتين متنافرتين؛ فى مثل : يحكى، ويرمى؛ فالأصل : يَحْكِى ، ويَرْمِى، فأدى اجتماع الأمثال الثقيل إلى سقوط الياء ، فاجتمعت الكسرة بالضمة ، ولما كانت الكسرة هى حركة عين الفعل، كانت لها السيطرة والبقاء ، فقلبت الضمة كسرة لتناسب كسرة عين الفعل، ومن الأدغام نشأ المَدُّ، وصارت : يَحْكِى ويَرْمِى على وزن يفعى .

وفى مثل : القاضى والداعى والساعى، نعلم أن الأصل هو : القاضي، والداعى والساعى، وأنها جميعاً على وزن اسم الفاعل من الثلاثى ، ويمكن تفسيرها مثل الصيغ السابقة. لكن ثمة تفسير آخر يدعمه ، وهو أن هذه الكلمة تحمل نبرين، لتعدد مقاطعها، حيث يسقط نبر قوى على كل من : القاف والضاد، والدال والعين ، والسين والعين على التوالي، وبسقوط النبر على الحرف تزداد الحركة الحاملة لهذا النبر قوة ، وتصبح لها السيطرة والظهور على ما يجاورها ، بل تصاب الحركة التالية لها بالإظلام الصوتى ، أى تحذف إن كانت قصيرة ويسكن الحرف بعدها ، وتقصر إن كانت طويلة ، والنتيجة أن حذفت حركة الإعراب بعد مقطع منبور، فسكنت الياء فأدعمت فى الكسرة قبلها ، فنشأ المد.

وبمثل هذه الطريقة، يفسر التحول الذى يصيب حروف العلة فى الأفعال التالية : يقضى ، ويدعو ، ويسعى ، ويبقى . . الخ .

وكذلك عند إسناد الأفعال المعتلة إلى الضمائر : واو الجماعة ، وألف الاثنين، وياء المخاطبة ، كما فى : يَرْنُون ، وأنت ترمين ، وهم يَسْعَوْنَ وأنت تَسْعِين . . الخ.

وبتطبيق القاعدة نلاحظ : سقوط الواو (لام الفعل) فى (يرنون) فصار الفعل (يرنُو) بالمد، على وزن : يفعُو ، لتوالى الأمثال .

وعند إسناده إلى واو الجماعة، التقى مدّان : مَدُّ عين الفعل ، وهو ذو أهمية كما نعلم ، ومَدُّ واو الجماعة : الضمير المسند إليه الفعل ، هنا يحذف مد عين الفعل رغم أهميته ، ويبقى مد الضمير؛ حتى لايفوت غرض الإسناد، كما أن القاعدة تقول : بحذف الساكن الأول عند اجتماع الساكنين فصارت : يَرْنُون على وزن : يَفْعُون . .

يقاس على ذلك الإسناد إلى ياء المخاطبة .

أما الفعل (يَسْعَوْنَ)، فنلاحظ أن التحوُّل فيه صار فى طريق التحول إلى حروف اللين، وليس فى طريق التحول إلى حروف المد؛ وسبق أن علمنا أن كلا التحولين مقبول ، ومستساغ فى اللغة، وأن الصيغة بحروفها الموجودة فيها هى التى تفرض أحد التحولين، دون الآخر، وقد تحقق شرط اللين فى الفعل يسعي؛ إذ سقطت الياء أولاً لاجتماع الأمثال، فأدغمت ضمة الإعراب فى فتحة عين الفعل ، فنشأ المد، فصار يسعى على وزن: يفعى ، وبإسناده إلى واو الجماعة سقط مد عين الفعل لالتقاء الساكنين، فصارت واو الجماعة الساكنة مجاورة لفتحة العين فنشأ اللين السهل المقبول على الألسنة، وصارت الصيغة : يَسْعَوْنَ ، واكتفت بهذا التطور.

ثمة شذوذ ظاهرى نسجِّله على حروف العلة، فيه كسر للقاعدة الصارمة السابقة فى تحولات حروف العلة؛ هذا الشذوذ يحدث غالباً لأمن اللبس ، وهو أمر مشروع فى كل اللغات؛ فعند إسناد الفعل الماضى المعتل بالألف ، إلى ألف الاثنين، مثل: سعى ، ودنا، وهوى . . الخ فإننا نقول: سعيا ، ودنوا ، وهويا، حيث يعود حرف العلة فى مثل هذه الأفعال الناقصة إلى الظهور ، ولايسقط بين حركتين، كما هى القاعدة، والسبب فى ذلك هو أمن اللبس؛ لأنه لو لم يعد للظهور ، لكان النطق مع الأسناد إلى ألف الاثنين هو أيضاً : سعى Sa´aa ودَنَا Danna ، وهَوَى Hawwa . وهو نفس نطق الفعل عند إسناده إلى ضمير المفرد الغائب، فلكى لا يفوت غرض الإسناد إلى الاثنين حدث الشذوذ السابق للقاعدة، بعودة الياء ، والواو (لام الفعل الناقص) ، وتحريكهما بدلاً من حذفهما ، فصار الفعل بعد الإسناد إلى ألف الاثنين : سَعَيَا ، وهَوَيا ، دَنَوَا . ساعد على قبول ذلك خفة الفتحة مع كل من الواو والياء ، فالفتحة - كما قلنا - حركة مجانسة، أى مجاورة لكل من الواو والياء

وليست حركة مماثلة أو متنافرة لهما ، والثقل ينشأ عن التماثل أو عن التنافر فى كل من الواو والياء، وليس عن التجانس .

أما آخر ملمح نسجِّله على تحولات حروف العلة؛ فهو : وجود كلمات تثبت فيها حروف العلة متجاورة، دون حدوث التطور السابق الإشارة إليه: وهو التحول إلى حروف لين ، أو حروف مد.

من هذه الكلمات : قاوَم ، وبايَع ، وناوَل وسايَر . . الخ فى هذه الأفعال نلاحظ أنها رباعية الحروف، وأن الزيادة فيها جاءت لتنويع الاشتقاق ، كما أن إيقاعها، أى : وزنها ، يختلف عن إيقاع نظائرها الثلاثية الحروف، مثل : قام، وباع ، ونال ، وسار . . الخ؛ ففى هذه الأفعال الثلاثية نلاحظ اطِّراد حذف حرف العلة لتوالى الأمثال، ومن العلتين نشأ ألف المد.

كما أن هذه الأفعال الثلاثية ذات زمن قوى واحد : قام قَ اْ مَ =/⊥ uu/ وكذل ك: سار ، ونال وباع : زمن قوى منبور ، يعقبه زمن ضعيف غير منبور؛ يحفظ للكلمة إيقاعها : أى : وزنها .

أما : قاوَمَ وأمثالها فإنها حاوية لزمنين قويين منبورين، يتعاقب مع كل واحد زمن ضعيف ، يحفظ للكلمة إيقاعها، أى : توازنها، لاحظ :

/ ق اْ - وَ مَ - / = ⊥ n u — nu [1].

بمعنى : أن الواو فى قاوَمَ ، وأمثالها ، ساقطة فى الزمن القوى الثانى، ويسقط عليها النبر القوى الثانى ، والنبر من خصائصه أنه لايسقط إلاّ على مقطع متحرك، كما أنه يقوِّى الحرف الساقط عليه ، ويُظْهِره على غيره ، ويمنع حذفه وإلاَّ اختلَّ إيقاع الكلمَة.

---

(١) انظر شرح كل ذلك فى كتابنا : إيقاع الشعر العربى بين الكم والكيف: دراسة فى النظرية والتطبيق . القاهرة ١٩٩٧ .

وسبق أن أشرنا إلى أن هذا الإيقاع الجديد لهذه الكلمة، وأمثالها ، هو إحدى وسائل الاشتقاق فى تنويع الكلمات، لاستخراج مختلف المعانى من الجذر، / فقاوم / تختلف لفظاً وإيقاعاً ومعنى عن / قام / ، وكذلك ساير عن سار ، وبايع عن باع . . الخ .

إذن فثبوت الواو المتحركة المنبورة فى مثل هذه الكلمات كان لضرورة إيقاعية، وليس كما يقول الطيب البكوش : « إن ثبوتهما - يقصد الواو والياء - يرجع إلى خفية النطق بالفتحة بعدهما - أى : بعد الألف -، لأنهما وسط بين الكسرة والضمة. أو أن ثبوتهما يرجع إلى تأثير طول الفتحة؛ فالحركة الطويلة قوية تكون عنصر استقرار فى الصيغة» (١).

نخلص مما سبق إلى الآتى :

- التحولات التى تطرأ على حروف العلة ، فتقلبها إلى حروف لين، أو مد سببها الأساسى، هو محاولة تحقق الانسجام الحركى Vowel/Harmony بينها وبين الحركات القصيرة من جهة، وبينها وبين بعضها البعض من جهة أخري. هذا الانسجام دافعه الأساسى أو الرئيسى تحقيق السهولة النطقية، وهو مبدأ عام يغشى كل اللغات، وتحرص عليه.
- سار اتجاه التحول بين حروف العلة فى اتجاهين متوازيين :

الأول : تحولها إلى حروف لين.

والثانى : تحولها إلى حروف مد.

- امتاز التحول الأول ، بسكون حرف العلة: الواو أو الياء بعد فتحة، ووقف عند تلك المرحلة، لكنه اقتصر على صيغ وأوزان محددة جاء معظمها على: فَعْل ، ومَفْعَل، مثل: سَوْط ، وبَيْت، ومَوْقِد ومَوْلِد. . . الخ.

(١) الطيب البكوش. التصريف العربى ٥٤ وما بعدها .

- امتاز التحول الثانى : وهو تحول حروف العلة إلى حروف مد ، باتساع صيغه وأوزانه ومشتقاته وأمثلته، وانطلق فى تحوله من منطلقين :

١ - إشباع الفتحة والكسرة والضمة، فتصير إلى ألف المد، وواو المد، وياء المد.

٢ - سقوط الواو أو الياء عند توالى الأمثال، وقلب إحدى الحركتين وإدغامها فى الأخري، لينشأ عنها مد الأولى .

٣ - سقوط الواو المتحركة بعد كسرة ، أو الياء المتحركة بع ضمة لاجتماع الثقيلين ، ومن إدغام الحركتين ينشأ المد الطويل للكسرة، أو المد الطويل للضمة .

٤ - سقوط الواو الساكنة بعد كسرة، والياء الساكنة بعد ضمة للثِّقَل الناشئ عن اجتماع المتنافرين، ونشوء المد الطويل للكسرة، أو الضمة بتأثير النبر القوى الساقط عليهما.

٥ - يصح تسمية تحوُّل العلل إلى حروف لين بأشباه الصوامت ، ويصح تسمية تحوُّلها إلى حروف مد بأشباه الصوائت.

٥ - الإبدال التاريخى لحروف العلة :

تناول د. إبراهيم أنيس هذا الأبدال فى بحث له تحت اسم : بحث اشتقاق حروف العلة[١] عندما قال : « ويعنينا هنا استعمال الياء والواو كأصوات ساكنة [يقصد : صامتة] فى اللغات السامية عامة ، والعربية خاصة، ولكنى سأغفل الإشارة إلى استعمالها فى الأسماء الجامدة ، والحروف التى لانستطيع أن نميز فيها بصفة قاطعة أصول الكلمة، والزائد فيها. أما الأفعال ، والمشتق من

(١) انظر هامش ١٥.

الأسماء ، فـفى غالب الأحـيان يستطـيع اللغوى أن يـؤكد أصولهـا ، وأن يميز زوائدها .

وباستقـراء صيغ الأفعال والأسماء المشـتقة، لانكاد نعثـر على واو أو ياء ليست أصلاً من أصول الكلمة؛ ففى جميع صيغ الأفعال لانعثر على الواو التى هى من الأصـوات الساكنـة [يقصد : الـصامتة] ، ولـيست أصلاً مـن أصول الكلـمة إلا فى تلـك الصيغـة التى يسـميها الـصرفيون الـقدماء (افْعَوْعَلَ)، و (افْعَوَّلَ)، وهى صيغة لا ندرى لـها أصلاً، ولم ترد لنا مستعـملة لا فى القرآن الكريم، ولا فى شعر جاهلي، ولا أعرف لها نـصاً عربياً قديماً ، فهى فى رأيي فى عداد الأسماء الجامدة .

أما الأسماء المشتقة ، فقد خلت جـميعها من واو ، أو ياء ليست أصلاً من أصول الكلمة إلا صيغة (فَوَاعِل) فى جمع التـكسير، التى اختصت بجمع اسم الفاعل أمثال : (دَوَافِع، ومَوَانِع) ، ولكن جموع التكـسير من العناصر السامية القديمة التى احـتفظت لنا بها اللغـة العربية، دون أخواتها الساميـة، فنحن إذن نجهل الكثير من تاريخها ، وتطورها [1].

معـنى مـا سبق : أن د. أنـيس فى بـحثـه التاريـخى عن حـروف العـلة وتطـورها، أغفل الإشـارة إلى حروف الـعلة فـى الأسماء الجامـدة، والحروف المبنية؛ لأن الـلغوى لا يستطيع أن يميـز بصورة قاطعة الحرف الأصلـى فيها من الزائد، لكن اللغوى يستطيـع أن يرد كل واو ، أو ياء إلى أصلها الذى اشتقت منه فى الأفعال، باستثناء الصيغتين (افعوعل وافعول) ، وفى الأسماء المشتقة ، باستثناء صيغة جمع التكسير (فواعل) .

ثم دعانا إلى البحث فى أول هذه الحروف، وكيف يقلب كل منها إلى صوت

(١) د. أنيس. بحث فى اشتقاق حروف العلة ١٠٦ والأصوات اللغوية ٢٣٨ وما بعدها .

لين طويل، وذكر أن «هذا نوع من البحث يمكن أن يسمى الإبدال التاريخى، وينتمى هذا البحث إلى ذلك الفرع اللغوى الذى يسميه الغربيون Etymology [1].

أما د. كمال بشر، فقد رفض ما جاء عن الصرفيين العرب فى علاجهم لهذه الحروف المعتلة (و. ا. ى) ، والتى رأوا أن لها أصولاً منقلبة عنها، كما هو وارد فى علاجهم لها تحت باب الفعلين : الأجوف ، والناقص.

رفض د. بشر ذلك الأصل الذى قال به الصرفيون (للواو والألف والياء) فى هذه الأفعال ؛ لأنه «أصل افتراضى متوهم، لا أصل حقيقي، وذلك مانصوا عليه بالفعل . . والذى دعاهم إلى هذا السلوك هو خضوعهم لمنهجهم العام، وهو سيطرة فكرة الأصول على أذهانهم، ومحاولة حشد مختلف الأمثلة تحت قاعدة واحدة، أو تحت نظام واحد من البحث ، فإذا لم تنطبق القاعدة انطباقا تاما على بعض الأمثلة ، فإنهم يحاولون إرجاع كل فعل ثلاثى مجرد إلى النموذج الأساسى (ف ع ل) ، فإن وافقت الصيغة الوزن، فبها ونعمت ، والإ وجب أن تفسر تفسيراً ما حتى تخضع لهذا الوزن» [2].

يرفض د. بشر علاج هذه الأفعال المعتلة، وفقا لطريقتهم تلك، ويرى أن علاجها يجب أن يسلك طريقا من اثنين :

- طريق وصفى يعنى بتسجيل الحقائق الموجودة فى الصيغة بالفعل، دون تأويل أو افتراض ، ويقول : « فى حالتنا هذه سوف نجد أنفسنا فى حاجة إلى معونة الدراسات الصوتية، وعن طريق هذه الدراسات سوف نعلم أن (قال) فى تركيبها الصوتى تختلف عن (نصر) مثلاً ، فكل منهما له تركيب مقطعى يختلف عن تركيب الآخر ، فقال تركيبها الصوتى هو: / ص ح ح /ص ح/ ، أما نصر، فمقاطعها هى : ص ح / ص ح / ص ح / ، فالأولى مكونة من

(١) السابق ١٠٧ .

(٢) د. كمال محمد بشر . دراسات فى علم اللغة ٢٤٣ - ٢٤٤ دار المعارف بمصر ١٩٧٣.

مقطعين اثنين، والثانية مؤلفة من ثلاثة مقاطع، هذا بالإضافة إلى أن هناك فرقاً في كمية بعض المقاطع (ص ح ح × ص ح)» [1] .

هنا يلزمنا التوقف ؛ لنقول : إن فكرة تحليل مثل تلك الكلمات أو الصيغ وفقا للمنهج الوصفى، أو وفقا للمنهج التاريخى الذى افترضه - كما سيأتى - هى فكرة منهجية سليمة فى حد ذاتها، لكننا نختلف فى تحليلها مع التحليل الذى أورده د. بشر؛ لأنه فى تحليله رأى أن ثمة خلافاً مقطعياً كمياً، بل وكيفياً بين كل من : قال ، ونصر، وأرى أن هذه النظرة التحليلية قائمة على فهم مختلف لمكونات المقاطع الصوتية، التى هى اللبنة الأساسية لكل تحليل علمى للكلام العربى، بل والإنسانى، وقد سبق لنا شرح كل ذلك فى بحثين سابقين لنا [2].

فليرجع إليهما من يشاء حول هذه النقطة ؛ لأن التصحيح فيها جوهري! المهم أن د. بشر يقول : إن «قال» مكونة من مقطعتين، و«نصر» مكونة من ثلاثة مقاطع، كما أن كمية المقاطع فى «قال» تختلف عنها فى «نصر» ، ونحن نقول :

إن ايقاع الكلمتين واحد، أى وزنهما واحد ، وليست «قال» مكونة من مقطعين كما قد يتصور، وليست ثمة فروق كمية بين مكونات «قال» ، ومكونات نصر ، إنما الموجود هى فروق كيفية، لأننا لو نظرنا إلى عناصر اللغة المتحركة والساكنة التى تتكون منها كلمات اللغة، ولو وضعنا فى الاعتبار النبر أو الأنبار اللغوية التى تحملها كل كلمة ، لتحفظ لها إيقاعها الصوتي، أى : توازنها الإيقاعي، لاختلفت نظرتنا تماماً حول كل ما قيل عن المقاطع القصيرة والطويلة ، المغلقة والمفتوحة؛ فحقيقة الأمر أن قال مكونة من ثلاثة عناصر

(١) السابق : ٢٤٤ .

(٢) انظر هامش ٢١، وهامش ٣٤.

شأنها شأن « نـصر» تماماً ، هذه العناصـر هى : ق . أ . لَ فى : قال ، وهذه العنـاصر هى : نَ . صَ . رَ فى : نصـر ، أما النبر اللـغوى فى الكلـمتين، فيسقط علـى المقطع الأول فيهما ، أى على (قَ)، وعـلى (نَ) ، ويشكل هذا المقطع المنبور نبـراً أولياً ، نصف الكلمة ، أو الزمن القوى فيـها ، يتعاقب مع هذا الزمن القوى زمن ضعـيف يساويه تماماً ، لكنه غير منبور، ليـحفظ للكلمة توازنها الصوتـى ، هذا الزمن الضعيف فـى (قال) مكون مـن عنصـرين : (أ. لَ) أى الألف السـاكنة واللام المحركـة بحركة قـصيرة، وكل واحد مـنها يساوي/ $\frac{1}{2}$ / نـصف وحدة زمن غيـر منبورة . وفـى (نصر) يشكـل الزمن الضعيف العنصران : (ص.ر) وكل عنـصر يساو ($\frac{1}{2}$) نصف وحدة زمن غير منبورة أيضاً .

معنى ذلك أن الفعلين متساويان تماماً من الناحية الكمية، كل من هنالك أن الزمن الضـعيف فى : «قال» أحد عنصـريه ساكن والآخر متحـرك، أما الزمن الضعيف فى : «نصر» ، فالعنصران متحركان .

ما يعـنينا هو أن د. بـشر، وفقاً لمنـهجه فى التـحليل، من عـدم الاعتداد بالعنـصر الساكن، أو ما نسـميه نحن بالمقـاطع الساكنة، قـد خرج علينا ينـتيجة نختلف معه فيها ، إذ يقول : « إن قـال وزنها فال ، وغزا وزنها فعا، أما نصر فوزنها فعل »[1]، ويقول : « ولاضيـر من هذا العمل بـحال من الأحوال ، إذ هو ممثل للحقيقة الواقعية، فضلاً عن سهولته ، وتمشيه مع روح المنهج السليم، فهنا اتبعنـا مبدأ (تعدد الأنظمة) فى إطار المنهج الوصـفى ، وهذا شئ تفرضه الحقائـق الناطقة، فـقد رأينا أن قال ، ونـصر مثلاً - وإن كـانا فعلين ثـلاثيين مجردين - يختلفان فى تركيبهما المقطعـى، وهذا يوجب علينا معاملتهما بطريق مخـتلف؛ لأن إخـضاعهـا لقاعدة واحـدة، أو اتباع مـبدأ توحـد الأنظمـة فى

(١) السابق : ٢٤٤.

علاجهما سوف يؤدى إلى نتائج مضطربة معقدة، كما هو الواقع بالفعل فى تفسير الصرفيين التقليديين لتصريف هذه الأفعال ، ونحوها »[1].

أقول : ليس صحيحاً أن كلام د. بشر ممثلاً للحقيقة الواقعة؛ لأنه مبنى على فهم مختلف لمكونات الكلام العربى، بدليل أنه ناقض نفسه فى نفس النص، حين قال : « إن قال ونصر مثلاً فعلان ثلاثيان مجردان» ، معنى ذلك أنه اعتدَّ بالألف الساكنة جذراً ثالثاً ، إذن تفسير الصرفيين التقليديين لهذه الأفعال لم يكن خاطئاً كما ادَّعى هو .

النقطة الثانية المهمة فى كلام د. بشر، موجودة فى حديثه عن الطريق الثانى فى التحليل، وهو طريق المنهج التاريخى ، الذى يقضى بتتبع تاريخ تلك الصيغ الواردة فيها الواو، أو الياء؛ للكشف عما أصابها من تغير عبر فترات التاريخ.

يقول : « ولنا هنا أن نتساءل : هل أتى على نحو (قال) ، و (غزا) فترة من الزمن كانتا تنطقان فيهما : قَوَلَ ، وغَزَوَ، ثم عرض لهما تطور فى أصوات العلة أدى إلى هذه الصيغة الحاضرة ؟ »[2].

إن مثل هذا التساؤل من د. بشر غير ذى بال ؛ لأنه افتراض لم يقل به أحد، والغريب أنه راح ينقل لنا نصوصاً فيها ألفاظ معتلة بالواو أو الياء، وجاءت الواو أو الياء مصححة فيها، على خلاف من نطقها الذى نعرفه، وننطقها به ؛ ليحاول تأكيد وجود بقايا تاريخية للواو أو الياء المصححتين.

إن السؤال بهذه الصورة يغفل حقائق علمية لايمكن إنكارها . . ، والأصح أن يأتى السؤال على النحو التالى : هل الصورة بالألف فى مثل : قال وغزا

---

(١) السابق : نفس الصفحة.

(٢) السابق : ٢٤٥.

وأطال . . الخ ناشئة عن تحول أصاب حروفا أخرى صامتة ، أو حروف علة متحركة ، أو ساكنة ؟ وهل ذلك التحول كانت له مبررات صوتية؛ أو لغوية ، أو عروضية، أو نحوية ؟ أم أن الصورة بالألف صورة مرادفة لصور أخرى بغير الألف، وكلتاهما مستخدمتان فى الكلام العربى؟ وغير خاف ما بين تساؤل د. بشر وتساؤلنا من اختلاف فى المفهوم .

أصحح ذلك ، لأن ابن جنى قد سبقنا جميعاً فى تصحيح هذا الاعتقاد الخاطئ، عندما قال : « هذا الموضع كثير الإيهام لأكثر من يسمعه ، لا حقيقة تحته وذلك قولنا : الأصل فى قام قَوَمَ، وفى باع بَيَعَ ، وفى طال طَوُلَ ، وفى خاف خَوِفَ ، ونَوِمَ ، وهَيَبَ ، وفى شَدَّ شَدَدَ، وفى استقام اسْتَقْوَمَ، وفى يستعينُ يستَعْوِنُ ، وفى يستعد يستَعْدِدُ. فهذا يُوهِم أن هذه الألفاظ، وما كان نحوها - مما يدعى أن له أصلاً يخالف ظاهر لفظه - قد كان مَرَّةً يقال ، حتى أنهم كانوا يقولون فى موضع قام زيد. قَوَمَ زيد، وكذلك نَوِمَ جعفر ، وطَوُلَ محمد ، وشَدَدَ أخوك يده، واستَعْدَدَ الأمير لعدوه. **وليس الأمر كذلك ، بل بضده ، وذلك أنه لم يكن قط مع اللفظ به إلا على ما تراه وتسمعه .**

وإنما معنى قولنا : إنه كان أصله كذا : أنه لو جاء مجئ الصحيح ، ولم يُعَلّ لوجب أن يكون مجيئه على ماذكرنا ، فأما أن يكون استعمل وقتاً من الزمان كذلك، ثم انصرف عنه فيما بعد إلى هذا اللفظ فخطأ لايعتقده أحد من أهل النظر» (١).

كلام ابن جنى واضح جَلِى لا لبس فيه، لأن العرب فى أفعالها وأسمائها وصفاتها، قد استقرت على نطق نهائى لهذه الألفاظ، رأت فيه الصورة المثلى من الناحية اللفظية، حيث السهولة المتحققة من تفاعل الأصوات : صوامت

(١) ابن جنى الخصائص ١/٢٥٦ تحقيق محمد على النجار . الناشر : دار الكتاب العربى بدون تاريخ، ومصور عن ط. دار الكتب المصرية ١٣٧١هـ - ١٩٥٢ وما بعدها .

وحركـات، بعضهـا مع البـعض الآخر، فى المخـارج والصفـات، غير عابئة بالجذور الـتى نشأت عـنها تلك الـصور النطـقية . وهذا ماعـبر عنه ابـن جنى بالإعـلال فى الحروف المـعتلـة، فهذه الحـروف صورتهـا المثلـى ألا تأتى عـلى الأصل، فإذا حـدث وجاء فعل أو اسـم أو صفة فيـه حرف من حروف الـعلة مكان فعل صحيح، ولم يعل، لكان مجيئه على تلك الصوة (غير المستخدمة) فى النطق، أى بالتصحيح فى حروف العلة.

وأن العرب لم تغير ما استقرت عليه - أى : من إعلال هذه الحروف دائماً - إلا عند الضرورة القصوي؛ كأن تحتاج إلى حرف متحرك مكان حرف ساكن، أو تحتاج إلـى حرف تكمل به إيـقاع بيت أو تفـعيله، فتـعود إلى ألفاظهـا التى يتكون منـها بيت الشعر ، مثـلاً ، فتصحِّح ما أعلَّت ، وترد ما حـذفت لالتقاء الساكـنين، وهكذا . . وهذا كـلام واضح ومعروف لكـل من له دراية بصـنيع العرب فى أشعارهم ومأثورهم من لغتهم .

فالبيت الذى أورده ابن جنى إشارة إلى تلك الضرورة ، وهو :

صَدَدْتِ فأطْوَلْتِ الصدودَ وقلما وصالٌ على طول الصدود يِدومُ [1].

فلو قال : صددتِ فأطلتِ الصدودَ وقلَّما . . .

فإن التفـعيلة ستتـغير من (مفاعـيلن) إلى (متفـاعل) ، وهو تغييـر كفيل بخروج البيت من البحر الذى صاغ الشاعر قصيدته على إيقاعه.

وكذلك قوله : [2].

تراه ، وقد فات الرُّماةَ كأنَّه : . أمامَ الكلابِ ، مُصْغِيُ الخَدِّ أصلمُ

حيث أثـبت الشاعر اليـاء فى مصغى وحـرَّكها بالضم، ولـم يُعِلّها الإعلال

(١) الـسابق ١/٢٥٧.

(٢) الـسابق ١/٢٥٨ .

السابق شرحه : بحذف الياء لاجتماع الأمثال، ثم ادغام الضم فى الكسر فى صورة مد طويل للكسر، ثم حذف هذا المد الساكن لالتقاء الساكنين.

لأنه لو فعل هذا الإعلال الطبيعى الذى يُفْعَل بهذه الكلمة فى غير الشعر، لتحولت التفعيلة من (فعولن) إلى (فَعْلُن) ، وهذا غير مسموح به فى حشو هذا البحر الطويل ؛ لأن النبر الإيقاعى Ictus فى (فَعْلُن) يسقط على فتحة الفاء ، بينما النبر الإيقاعى فى (فَعُوْلُن) يسقط على ضمة العين، بمعنى : أن فَعْلُن تبدأ بنبر قوى، أما فَعُولن فتبدأ بنبر ضعيف، وشتان بين الاثنتين فى إيقاع الشعر العربى القديم . ومن ثَمَّ حرَّكها الشاعر على أصلها الجذرى للضرورة الإيقاعية.

فإذا كانت ضرورة التخلُّص من التقاء الساكنين تُلزِم العربى بحذف الساكن الأول إن كان حرف علة، أو تحريكه إن كان حرفاً صحيحاً ، فإن ضرورة الإيقاع تُلزِمه فى المقابل بتحريك العلة الساكنة ، ليستقيم له الوزن إذا احتاج إلى ذلك .

رغم كل ذلك ، يرفض د. بشر، ويقول « القول بأن هذه الأمثلة ونحوها من ضرورات الشعر قول لامُسَوِّغ له »[1]. بل ، وقوله : « إن هناك عشرات من الأمثلة - من هذا الباب - وردت بالتصحيح لا بالإعلال، فى غير ضرورة فى الأسماء نحو : الهَيَف والحَوَر والعَوَر»[2]، وأقول :

إن ورود تلك الأمثلة بالتصحيح وليس بالإعلال ، على خلاف من نهج العرب فى كلامها، كان يقتضى منه التريث، وإعمال النظر؛ لأن كلمة (الحَوَر) نجد أن أمن اللبس، بل والتنوع الاشتقاقى يحكمانها، فاللغة فيها : (الحُوْر العين)، أما الحور بالتصحيح والتحريك، فاستخدمته لـ (حَوَر العينين) وهو

(١) د. بشر. دراسات فى علم اللغة ٢٤٥.

(٢) السابق نفس الصفحة .

معنى آخر خلاف الأول ، كما أن اطرّاد الإعلال فى مثل هذه الكلمة موجود فى اللغة أيضاً ، ففيها الماء الحار والزيت الحار، ويمكن لنا تتبع كل كلمة معتلة، وردت بالتصحيح على خلاف الأصل فيها بالاعتلال، وبيان السر فى مخالفتها.

فكلمة: العور، لو أُعِلَّت الأعلال الطبيعى لصارت: العار ، وهى موجودة ومستخدمة فى اللغة، لكن التحريك هنا اقتضاه وفرضه تنويع الاشتقاق للدلالة على معان مختلفة.

إذن يصبح كلام د. بشر الالى لامعنى له ، بل مغالطة لاتجوز فى هذا الموضع عندما يقول : « ولسنا ندرى تماماً لماذا ينكر ابن جنى أن يكون لهذه الأبواب ، ونحوها أصول تاريخية ، مع وجود بقايا لهذه الأصول فى النثر والشعر كليهما» [1]. لأن ابن جنى لم ينكر ذلك ، بل كلامه واضح وقاطع وصريح ولا يحتمل التأويل ، إنه أنكر أن تكون الكلمة المشتملة على الواو أو الياء ، كانت مستعملة بالتصحيح فى يوم من الأيام ، بدلاً من نفس الكلمة التى أُعِلَّت فيها الواو أو الياء ، وبنفس المعنى .

وبالضرورة يبطل قول د. بشر : « أما أن التطور قد لحق هذه الأبواب ونحوها بحيث أصبحت (قَوَلَ وعَزَوَ قال وغزا) دون غيرها، فذلك أمر يسهل فهمه لو علمنا أن التطور هنا قد لحق أصوات العِلَّة، وهى أسهل الأصوات قابلية للتطور، وقد ظل هذا الاتجاه سائراً فى العربية حتى أصاب لهجاتها الحديثة ، كما وقع لنحو : يَوْم وبَيْت bayt, yawm فصارتا: يُوم وبِيت beet, yoom ، حيث حلت الحركات محل أصوات العلة ، أو ما تسمى أنصاف الحركات»[2].

لأنه استنتاج توصَّل إليه عبر مقدمات خاطئة، وهى أن هذه الألفاظ

(١) السابق ٢٤٦.

(٢) السابق ٢٤٥.

بالتصحيح فى حروف العلة، كانت منطوقة فى يوم من الأيام، وهو ما لم يحدث ونفاه ابن جنى صراحة، وبتعبير ابن جنى « وليس الأمر كذلك، بل بضده وذلك أنه لم يكن قط مع اللفظ به إلا ما تراه وتسمعه» (راجع نص ابن جنى) لأن تعليل د. بشر فيه مغالطة علمية، لأنه يفترض أن هذه الألفاظ بالتصحيح قد تطورت فى لهجة القاهرة من يَوْم إلى يُوم yoom، ومن بَيْت إلى بِيت beet، وهو مالم يحدث ، فى لهجة القاهرة، ولا فى اللهجة التميمية فلم يحدث أن نطق القاهريون بـ (يَوْم) الفصيحة ولا بـ(بَيْت) الفصيحة، إنما استخدموا اللفظين وأمثالهما على ما نراه ونسمعه : بالإمالة فيهما . أى لم تعرف اللهجة القاهرية سوى الاستخدام اللهجى فى ألفاظها . بتعبير آخر : لم يحدث أن تطور هذا اللفظ على ألسنة المصريين من النطق الفصيح إلى النطق اللهجى، لأن النطق الأخير هو ميل لهجى قاهرى أو مصرى وجدت فيه لهجة القاهرة السهولة التى لم تجدها فى نطق غيره، بل طبعته بطابعها الخاص، بل اطرد هذا فى كل ألفاظها المشابهة لأنه ميل لهجى ولم يحدث أن نطقت بغيره. ويقاس على لهجة القاهرة فى هذا الاتجاه : « اللهجة التميمية التى تصحح ولاتعل نحو مبيوع ومديون ومخيوط ومصووون . . إلى غير ذلك مما قد ينظر إليه على أنه بقية تاريخية لظاهرة أصيلة فى اللغة العربية فى فترة من فتراتها السحيقة من الزمن » [1].

لأن نطق اللهجة التميمية ، إنما هو اتجاه لهجى ميزها عن غيرها ، ولم يحدث أن نطق أهلها بغير ذلك ، لنقول إنهم قد انتقلوا بنطقهم من حال إلى حال، أو إن حروف العلة كانت تصحح عندهم فى فترة زمنية وتَعَلُّ فى فترة زمنية أخرى .

إن إعلال حروف العلة قد أخذت به اللغة الفصيحة منذ أن عُرِفَت أو منذ

---

(١) السابق نفس الصفحة .

أن وصلت آثارها الأدبية إلينا، ولم يحدث أن صُحِّحَت ثم أُعِلَّت في نطقها، وإذا وجدنا خلاف ذلك علينا أن نبحث عن سر ذلك، من خلال دراسة قوانينها الصرفية والنحوية بل والصوتية، لأن كل خروج على طريقة الفصحى المطردة، كانت له أسبابه وعلله وضروراته وليس الزعم بأنه تحول تاريخي قد أصابها.

نعود إلى د. أنيس فنراه يقرر أن ثمة إبدالاً تاريخياً قد حدث بين الواو والياء من ناحية، وبين كلٍ من النون واللام والميم، وشتان ما بين التعبيرين ! ! فإبدال د. أنيس قائم بين صورتين منطوقتين ، ومستخدمتين في الفصحي، واحدة بحروف العلة : الواو أو الياء ، وأخرى بالأصوات الصامتة : اللام، أو الميم ، أو النون، والصورتان بمعنى واحد، أي : مترادفتان تماماً، هنا تكون له المشروعية في دعوتنا إلى البحث عن التطور الذي حدث في إحدى الصورتين، وأفضى بها إلى الأخرى . بينما حديث د. بشر عن تطور حدث بين صورة منطوقة بالفعل وأخرى وهمية يُدَّعَى أنها كانت موجودة بل ومنطوقة في يوم من الأيام أو في فترة زمنية سحيقة، لا دليل عليها، لأن ماذكره من أدلة مردود عليه ، كما أوضحنا.

أما لماذا دعانا د. أنيس إلى هذا البحث ، « فلأنه وجد ألفاظاً فصيحة اشترك معناها ، ولم يختلف لفظها إلا في أنَّا نجد مكان الياء ، أو الواو منها لاماً، أو نوناً ، أو ميماً » [1].

خلص د. أنيس إلى أن « اللام والنون والميم تعد من الناحية الصوتية أشباهاً لأصوات اللين، وإلى أن الواو والياء أنصاف لأصوات اللين»[2].

إذن : احتمال الإبدال بينهما وارد.

بالبحث عما قاله اللغويون عن هذه الحروف نجد أن الميم :

---

(١) د. أنيس . بحث في اشتقاق حروف العلة ١١٢ .

(٢) السابق ١٠٧ .

« صوت شفوى أنفى مجهور»[1] . «لاهو بالشديد ولا بالرخو، بل مما يسمى بالأصوات المتوسطة [2]. بمعنى أن الميم تنتسب إلى مجموعة الأصوات المتوسطة، وهى : ر ل ن م ، وأضافوا إليها العين، وأهم خاصية تميز هذه الأصوات هى : « قوة الوضوح السمعى Sonority، كما أن هذه الأصوات مجهورة جميعها ، « كما أن الجهر فى الميم جهر محايد» [3]؛ إذ لا وجود لحروف مهموسة مقابلة له ، تؤدى دوراً وظيفياً دلالياً .

معنى ما سبق ، أن الميم بينها وبين الواو والياء شبه فى الجهر ، وفى مرور الهواء فى حرية ، ودون اعتراض، لكنه بدلاً من أن يمر من وسط الفم كالواو والياء ، فإن مروره يكون من الأنف، يضاف إلى ما سبق اشتراكها معهما فى قوة الوضوح السمعى، فهى شبيهة بالحركات فى هذا الملمح، شأنها شأن الواو والياء .

ليس هذا وحده « فالميم مشابهة للواو ، لأنهما من مخرج واحد، وهو الشفة، وفيها غنة تمتد إلى الخيشوم، فناسبت بغنتها حروف اللين» [4].

ومن ثم ، « تبدل الميم من أربعة أحرف ، وهى : الواو والنون واللام والباء. أما إبدالها من الواو فقولهم: فم ، وأصله : فوه بوزن سَوْط ، فحذفت الهاء تخفيفاً فصار التقدير: فَوْ ، فلما بقى الاسم على حرفين الثانى منهما حرف لين، كرهوا حذفه للتنوين، فيجحفوا به فأبدلوا من الواو ميما لقرب الميم من الواو، لأنهما شفهيتان ، وفى الميم هوى فى الفم يضارع امتداد الواو » [5] .

---

(١) د. بشر . الأصوات اللغوية ١٣٠.
(٢) د. أنيس . الأصوات اللغوية ٤٥.
(٣) كانتينو. دروس فى علم أصوات العربية ٤٣.
(٤) ابن يعيش . شرح المفصل ٩/ ١٤١.
(٥) ابن جنى. الخصائص ١/ ٤١٣ - ٤١٤ الهُوِىُّ : الانفتاح والدَّوِىُّ يقال: هَوَت الطعنةُ هُوِياً : فتحت فاها بالدَّم ، وهوت الأذنُ : دَوَّت.

واما إبدالها من اللام، فيُرْوَى أن النمر بن تولب حكى ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليس من امبر امصيام فى امسفر» يريد : ليس من البر الصيام فى السفر ، فأبدل لام المعرفة ميماً [1].

ويقول ابن جنى فى إبدال الميم من النون « وأما ابدال الميم من النون فإن كل نون ساكنة وقعت قبل باء قلبت فى اللفظ ميماً ، وذلك نحو : عنبر، وامرأة شنباء ، وقنبر، فإذا تحركت أظهرت نحو : شَنَب ، وعَنَابِر، وقَنَابِر، ومَنَابِر وقَنَابِل ، وإنما قُلِبَت لَمَّا وقعت ساكنة قَبلَ الباء، من قبل أن الباء أخت الميم، وقد أدغمت النون من الميم فى نحو : مَنْ مَّعك ، ومِنْ مُّحمد ، فلما كانت تدغم النون مع الميم التى هى أخت الباء ، أرادوا إعلالها أيضاً مع الباء ، إذ قد أدغموها فى أختها الميم.

ولما كانت الميم التى هى أقرب إلى الباء من النون لم تدغم فى الباء فى نحو : أقم بكراً ، لاتقول : أقَبكرا، ولا فى نَمْ بالله نَبًّا لله، كانت النون التى هى من الباء أبعد منها من الميم أجدر بأن لايجوز فيها إدغامها فى الباء ، فلما لم يصلوا إلى إدغام النون فى الباء، أَعَلُّوها دون إعلال الإدغام؛ فقربوها من الباء، بأن قلبوها إلى لفظ أقرب الحروف من الباء وهو الميم، فقالوا: عَمْبَر، وقُمْبُلة» [2].

وحرف اللام بدوره « يتكون بأن يعتمد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثة، بحيث توجد عقبة فى وسط الفم تمنع مرور الهواء منه، ولكن مع ترك منفذ لهذا الهواء من جانبى الفم، أو من أحدهما ، وهذا هو معنى الجانبية، وتتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق به، فاللام صوت أسنانى لثوى جانبى مجهور» [3].

---

(١) السابق ١/ ٤٢٣ وأخرجه البخارى فى كتاب الصوم.

(٢) السابق ١/ ٤٢١-٤٢٢ الشنباء : العذبة الفم.

(٣) د. بشر . الأصوات اللغوية ١٢٩.

وهذا الصوت، بدوره، من الأصوات الشبيهة بالحركات؛ لأن هواءه يخرج حراً طليقاً ، لا يحدث احتكاكاً فى أثناء خروجه من الفم، كالحركات، إنما هواؤه جانبى.

فإذا كان الهواء مع الميم ليس من وسط الفم، لكن من الأنف، فإنه مع اللام، ليس من وسط الفم أيضاً ، لكن من الجانبين، أو من أحد الجانبين، ولذلك وضع القدماء اللام ضمن ما أسموه بالأصوات المتوسطة، ذات الوضوح السمعى ، ويرى د. أنيس أن « اللام، وبعدها النون، أكثر الأصوات الساكنة شيوعاً فى اللغة العربية» [1].

«و هذا الألوفون - السابق وصفه - هو أكثر ألوفونات هذا الفونيم شيوعاً .. ومداه ٨٠/ ١٢٠م/ث »[2] بمعنى أنه من الصوامت ذات التردد العالى الشبيهة بالحركت ، إذا قيس بغيره من الصوامت.

وتتبادل اللام مع الأصوات المتوسطة؛ « وأبدلوا اللام من النون فى أصيلان فقالوا : أصيلال » [3] قال النابغة :

وقفت فيها أصيلالاً أُسَائِلُها عَيَّتْ جواباً ، وما بالرَّبعِ من أحدِ

بإبدال النون لاماً ، والمراد : أصيلاناً » [4].

وتبادل اللام مع النون أمره واضح، إذ المخرج والصفات واحدة، ولا يختلفان إلا فى خروج الهواء من جانبى الفم مع اللام، ومن الأنف مع النون وخروج الهواء من الأنف مع النون يضفى عليها وضوحاً سمعياً أقوى، حيث

---

(١) د. أنيس . الأصوات اللغوية ٦٧ .

(٢) د. سلمان العانى. التشكيل الصوتى فى اللغة العربية ٧٧.

(٣) ابن جنى. سر الصناعة ١/ ٣٢١.

(٤) ابن يعيش ٩/ ١٤٣ الهامش.

غنة « خاصة مع الصوت المشدد، فيهبها نغمة موسيقية مُحَبَّبة إلى الأذن العربية » [1].

ويرى كانتينو أن « اللام بجوار لام أخرى يجوز إبدالها نونا تبايناً»[2]. «والعلة فيه - أى فى التباين - نفسية محضة. نظيره الخطأ فى النطق . . . لأن النَّفْس يوجد فيها قبل النطق بكلمة تصورات الحركات اللازمة على ترتيبها، ويصعُب عليها إعادة تصوُّر بعينة بعد حصوله بمدة قصيرة ومن هنا ينشأ الخطأ » [3].

كما أن اللام يصيبها الإدغام، ومعلوم « أن التضعيف Gemination هو إطالة الأصوات المتمادَّة Continuants، وقفل أطول فى الوقفيات »[4] « وهو يعنى مضاعفه الصوت المفرد الساكن» [5]، «ولذلك يدغم فيه النون نحو قوله (من لدنه) ، وقد يحذفون معها نون الوقاية، كما يحذفونها مع مثلها ، قالوا : (لعلّى) كما قالوا (إنّى) و (كأنّى) » [6].

ومن دلائل شيوع اللام فى اللغة العربية، اتخاذهم لها حرفاً للتعريف دون سواها من حروف المعجم، وقد علل ابن جنى للسر فى اختيار اللام حرفاً للتعريف دون سائر الحروف « بأنهم أرادوا إدغام حرف التعريف فيما بعده، . . ليكون إدغامه دليلاً على شدة اتصاله ، وأقوى منه عليه لو كان ساكناً غير مدغم. فلما أرادوا ادغامه فيما بعده، اعتبروا حروف المعجم - أى تأملوها وأنعموا النظر فيها - فلم يجدوا فيها حرفاً أشد مشاركة لأكثر الحروف من

---

(١) د. أنيس . الأصوات اللغوية ٧٢.

(٢) كانتينو ٧٩.

(٣) برجشتراسر. التطور النحوى ٣٤.

(٤) العانى ١١٩.

(٥) ماريوباي. أسس علم اللغة ١٤٥.

(٦) ابن يعيش ٩/ ١٤٣.

اللام . . فعمدوا إلى اللام ، لأنها تجاور أكثر حروف الفم التى هى معظم الحروف، ليصلوا بذلك إلى الإدغام المترجم عما اعتزموا من شدة اتصال حرف التعريف بما عرَّفه ، فيُستَدَل بذلك على أنه قد نقله عن معنى التنكير إلى معنى التعريف . . وأنهم إنما خصوا اللام التعريف بأول الاسم، دون آخره من قبل أنهم صانوه ، وشحو عليه، لحاجتهم إليه ، فجعلوه فى موضع لايحذف فيه حرف صحيح البته . . ذلك الموضع هو أول الكلمة » [1].

نخلص مما سبق إلى أن كُلاً من اللام والميم فيهما من الصفات ما يجعلها أشباه أصوات اللين، شأنهما شأن الواو والياء تماماً ، من حيث حرية مرور الهواء؛ من وسط الفم مع الواو والياء ، ومن الأنف مع الميم ومن جانبى الفم مع اللام، وكذلك قوة الوضوح السمعى فيهما الناتج عن الجهر بهما، وزيادة ترددهما إذا قيس بتردد الصوامت الأخري، وأخيراً نسبة شيوع استخدامهما فى اللغة وإبدالهما بما يجاورهما من أصوات أو إدغامهما فيها شأنهما شأن الواو والياء تماماً .

أما النون : فهى « صوت أنسانى لثوى أنفى مجهور» [2]، بمعنى : أن طرف اللسان يلتقى بأصول الثنايا العليا مع اللثة، بينما تغلق اللهاة فراغ الفم تماماً ، وينخفض الحنك اللين؛ ليسمح للهواء بالمرور من الأنف ، دون أن يحدث احتكاكاً مسموعاً ، سوى أن تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به . من ثَمَّ ، يُعَدُّ النون صوتاً شبيهاً بالحركات فى حرية مرور الهواء الجهر، ويختلف عنها فى أن هواءه من الأنف ، وليس ومن وسط الفم كالحركات .

« ولاتنطق النون نطقاً خالصاً - وهو مايُسَمَّى بالإظهار - إلا إذا كانت قبل

---

(١) ابن جنى . سر الصناعة ١/٣٤٦ - ٣٤٩.

(٢) د. بشر ١٣٠ .

إحـــدى الحروف الآتيـة : الـهمـزة ، والـهاء والحاء ، والعين ، والخـــاء والغين » [1]،

معنى ذلك : أن النون « لاتكاد تتـأثر بأصوات الحلق حين تجاورها ، وربما كان هذا لبعد مخرج النون عن مخرج هذه الأصوات » [2].

وتتعرض النـون الساكنة للإبدال ، والإدغام ، والإخـفاء ، لأن الحركة مع النون غالباً ما تحفظها من التأثر بما يجاورها من أصوات ، وهذا الذى يطرأ على النون يـسمـى : الغُنَّة ، « وهى وسيلة لجأ إليـها القراء منذ القدم لإعـطاء النون بعض حـقها الصوتى مـع غير أصوات الحلق ، ولـيس الغنة إلا إطالـة لصوت النون ، مع تردد موسيقـى محبب فيها ، فالزمن الذى يستغرقـه النطق بالغنة ، هو فى معظم الأحيان ضعف ما تحتاج إليه النون المظهرة [3].

وتدغم النون مـع أصوات المجموعة الكبرى ، أى مجمـوعة أصوات الفم إذا سكنت وتـلاها أحد الحروف من مخـرجها، أو من المخرج الـسابق لها، أو المخرج التالى لها ، شأنها فى ذلك شأن لام التعريف ، كما أنها تتبادل مع تلك الأصوات التى تشترك معها فى قوة الـوضوح السمعى، والجهر ، وحرية مرور الهواء ، مثل اللام والميم .

ويرى ابن جنى « أن النون فى : فعلان فـعلى ، نحو : سكران سكري، وغضـبان غضـبي، وولهـان وحيران بـدل من هـمزة فعـلاء ، نحو : حـمراء وصفراء » [4]. « فإن قيل : فلِمَ أبدلت همزة فعلاء نوناً ؟ وما الذى سهَّلَ ذلك وحمل عليه ؟ فالجواب : أن للنون شبهاً بحروف اللين قوياً ، لأشياء: منها :

---

(١) كانتينو ٦٠.

(٢) د. أنيس . الأصوات اللغوية ٦٨.

(٣) السابق ٧٠.

(٤) ابن جنى. سر الصناعة ١/ ٤٣٥.

أن الغنة التى فى النون كاللين الذى فى حروف اللين، ومنها اجتماعها فى الزيادة معهن، ومعاقبتها لهن فى الموضع الواحد من المثال الواحد ، وذلك نحو: شرنبث وشرابث، وجرنفس وجرافس، وعصنصر وعصيصر، وعرنقصان وعَرَيْقِصان[1] ألا ترى أن النون قد عاقبت الألف والياء فيما ذكرنا.

وقالوا أيضاً : فَدَوْكَس، وسَرَوْمَط، وعَمَيْثَل، كما قالوا : جَحَنْفَل وفَلَنْقَس، وفصلوا بها بين العينين، فقالوا : عَقَنْقَل ، وعَصَنْصَر ، وسَجَنْجَل، وهَجَنْجَل وعَبَنْبَل، كما قالوا : غَدَوْدَن ، وقَطَوْطَى، وشَجَوْجَى فى أحد قَوْلَى سيبويه [2] وخَفَيْفَد.

وحذفوها أيضاً لالتقاء الساكنين فى نحو : (م الآن) فى بيت أبى صخر الهذلى : [3].

كأنهما م الآن لم يتغيراً : . وقد مرَّ للدارين من بعدنا عَصْرُ .

(أى : منْ الآن) ، و (لاك اسقنى) فى بيت النجاشى الحارثى[4] يذكر فيه ذئباً ، وهو :

---

(١) الشرنبث : الغليظ الكفين والرجلين، ومثله الشرابث والجرنفس والجرافس: الضخم الشديد من الرجال. وعصنصر وعصيصر : هو موضع، وفيه ثلاث لغات: عصنصر وعصيصر وعصوصر وعرنقصان وعريقصان : نبات .

(٢) انظر الكتاب لسيبويه ٢/ ١١١، ٣٢٩، ٣٤٥، ٣٨٦.
الفدوكس : الأسد. السروط : الطويل . العميثل : الضخم الثقيل.
حجنفل : العظيم الجحفلة ، والجحلفة مشفر البعير. فلنقس : البخيل اللئيم.
عقنقل : الكثب العظيم المتداخل الرمل. سجنجل : المرآة .
هيجنحل : اسم . عبنبل : الضخم الشديد. عدودن : الطويل.
قطوطى : المتبختر. شجوجى : المفرط فى الطول . خفيفد : الخفيف من الظلمان.

(٣) ابن جنى. سر الصناعة ٢/ ٤٣٩وانظر فى أشعار الهذليين ٩٥٦ والخزانة ٣/ ٢٥٨ الشاهد ٢٠٥ بتحقيق هارون .

(٤) ابن جنى. سر الصناعة ٢/ ٤٤٠ والكتاب ١/ ٩٠والخصائص ١/ ٣١٠ والأنصاف ٢/ ٦٨٤ والخزانة ٤/ ٣٦٧ الشاهد ٨٧٥.

فلست بآتيهِ ولا أستطيعهُ ولاكِ اسقنى إن كان ماؤُكَ ذا فضل.

(أى : ولاكن اسقنى) . و (لم يك الحق) فى بيت حسيل بن عُرْفُطَةَ الأسدى [1].

لم يك الحق سوى أن هاجه رسمُ دارٍ قد تعفَّى بالسُّرَر.

[أى : لم يكن الحق] .

كما حذفوها لذلك فى نحو : غزا القوم، وتعطى ابنك، وتصبوا المرأة.

وجعلوها أيضاً علم الرفع فى نحو : يومان ، ويقومون ، وتقومين، كما جعلوا الواو والألف علماً له ، فى نحو : أخوك ، وأبوك ، والزيدان والزيدون . . إلى غير ذلك .

فلما ضارعت النون حروف اللين هذه المضارعة ، وكانت الهمزة قد قلبت إلى كل واحدة من الألف والياء والواو ، قلبوها أيضاً إلى الحرف الذى ضارعهن وهو النون ، للتصرُّف والاتساع [2].

نخلص مما سبق إلى أن حروف الميم واللام والنون فيها من الصفات ما يجعلها تتشابه بحروف العلة واللين والمد : الواو والياء والألف ، ومن ثَمَّ كَثُرَ الإبدال فيما بينها، وبالبحث فى المعجم عن ألفاظ اتحد معناها واختلف لفظها : مرادفات تامة ، وتركز البحث حول التبادل الحاصل بين حروف العلة الثلاثة (و.ا.ى) ، وبين حروف (ل.م.ن) فى هذه الألفاظ؛ لنتأكد إن كان ثَمَّةَ تطور قد حدث بينها، خاصة أن الصورتين موجودتان ومنطوقتان فى اللغة العربية الفصيحة، فخرجنا بكم هائل من هذه الأفعال يؤكد أن الإبدال قد حدث فعلاً بين هذه المواد للأسباب التى ذكرها علماء اللغة القدماء والمحدثون.

---

(١) ابن جنى . سر الصناعة ٢/ ٤٤٠ والخصائص ١/ ٩٠ والخزانة ٤/ ٧٢ الشاهد ٧٤٥.

(٢) ابن جنى . سر الصناعة ٢/ ٤٣٨ - ٤٤٠.

بل إن هذا الإبدال قد حدث بين تلك الصور وبين نظائرها المشدد وغير خاف العلاقة بين التشديد وبين تلك الحروف جميعها كما سبق توضيح ذلك.

لكن الدافع إلى هذا الإبدال لم يكن واضحاً تماماً فى كتب علماء اللغة الأقدمين؛ لأنهم ركزوا بصفة أساسية على مابين الصوتين المتبادلين من تشابه فى الصفات والمخارج. أما علماء اللغة المحدثون فقد بحثوا فى عوامل التطور بين الأصوات، وأرجعوها إلى عاملين مهمين، هما : عامل السهولة، وعامل الشيوع.

بمعنى أن الإنسان فى نطقه يميل إلى تلمُّس أسهل الأصوات التى لا تحتاج إلى جهد عضلي، أو مجهود زائد فى نطقها، فيبدل مع الأيام بأصوات لغته الصعبة نظائرها السهلة، ولاشك أن حروف العلة (و.ا.ي) أسهل من غيرها ؛ لحرية مرور الهواء معها، وجهرها. لكننا لاحظنا خلال عرضنا السابق أن الفرق بينها وبين كل من : اللام والميم والنون، ليس كبيراً، إذ تمتاز هذه الحروف الصامتة، بدورها، بأنها أشبه بأصوات اللين فى خصائصها : من حرية مرور الهواء ، وجهر، بل وعلو وارتفاع ناتج عن زيادة فى نسبة التردد معها إذا قيست بغيرها من الصوامت الأخري، بل وناتج عن غنة تصاحبها، أو إدغام يقوِّيها . . إلخ.

معنى ذلك أن مبدأ السهولة وحده، لم يكن منشوداً لدى من أبدل هذه الأصوات فى لغته، لأن السهولة متحققة مع حروف العلة، ومع كل من اللام والميم والنون أيضاً ، ومن ثم يصبح القول بأن الإبدال الحاصل بين هذه الصيغ سببه السهولة اللفظية، غير كاف ، ولابد من البحث عن سبب آخر.

ثَمَّة نظرية أخرى تقولَ : بأن التبادل بين الأصوات قد ينشأ عن شيوع بعض الأصوات فى الاستخدام، دون غيرها، فيستبدلون بالأصوات التى لا يشيع استخدامها الأصوات الشائعة الاستخدام، الكثيرة التردد فى صيغهم، لأن

اللفظ لا يشيع على الألسن إلا إذا امتلك صفات تؤهله لذلك، والأصوات السابقة بنوعيها تمتلك - ولا شك - كل مقومات هذا الشيوع.

والناظر فى الإحصاء الذى قام به د. على حلمى موسى (١) لدرجة تردد الصوائت وبعض الصوامت فى القرآن الكريم يجد أن حروف المد الثلاثة قد ترددت بنسبة ٢٤,٣٩ ٪ وأن الحركات الثلاث قد ترددت بنسبة ٧٥,٦١ ٪ بمعنى : أن تردد حروف العلة إلى الحركات قد جاء بنسبة ١ : ٣ وهى نسبة صادقة تماماً ؛ لأننا نعلم أن النسيج المقطعى فى اللغة العربية لايسمح بتتابع أربعة متحركات فى الكلمة الواحدة أو مايشبه الكلمة، إذ لابد من كسر هذا التتابع الحركى بالمد أو بالسكون مثل : يَتَقَاتَلُ، كَتَبَ > كَتَبْتَ وهكذا .

أما الصوامت ، فنجد أن اللام تمثل أعلى نسبة تردد؛ حيث بلغ ترددها ١٤,١٠ ٪، يليها النون بنسبة ١٢,١٠ ٪ ، ثم الميم بنسبة ١٠,٦٦ ٪ بمجموع ٣٦,٨٦ ٪ بمعنى أن هذه الحروف الثلاثة قد استحوذت على هذه النسبة المرتفعة، أما باقى حروف العربية الخمسة والعشرين فقد كانت نسبتها مجتمعة ٦٣,١٤ ٪ وهذا ولا شك يؤكد حقيقة شيوع هذه الأحرف الثلاثة فى اللغة العربية، فإذا أضفنا حروف العلة الثلاثة إليها تصبح نسبة شيوعها فى الكلام العربى ٦١,٢٥ ٪ ، بمعنى أن خمسة حروف تحتل هذه النسبة الشائعة فى الكلام العربي، لابد وأن تتعرض لصنوف شَتَّى من الإدغام والإبدال والحذف والسقوط . . الخ ، وقد شاهدنا كيف أن حروف العلة الأصل فيها هو الإعلال، بينما الشذوذ فيها هو التصحيح أما اللام، فقد اتخذتها العربية حرفاً للتعريف ، ومعلوم أنه يدغم فى نصف أصوات اللغة : كل الأصوات التى تخرج من مخرجه ، والأصوات التى تخرج من المخرج السابق لمخرجه، والأصوات التى تخرج من المخرج التالى لمخرَجه. ورأيناها تتبادل مع حروف المجموعة الكبرى . . الخ .

(١) انظره فى الجدول رقم (٥) فى بحث د. محمد امنزوى ٦٤.

كما رأينا الميم تبدل مع الأصوات من مخرجها كالباء والواو والنون وتبدل كذلك مع اللام : حديث الصيام فى السفر .

أما النون فتشبه اللام ، وتزيد للغُنَّة فيها .

نخلص مما سبق ، أن النظرية التى تقول : بأن الألفاظ التى تحتوى على لام ، أو ميم ، أو نون ، قد تعرضت أكثر من غيرها لأن تبدل هذه الأصوات بحروف العلة : الواو ، أو الياء هى نظرية لها مايبررها من الناحية العلمية ، وأن هذه النظرية وجدت أرضاً خصبة لها فى بعض البيئات العربية، دون البعض الآخر، ومن ثم ، حدث لهذه الحروف الإبدال فى تلك البيئات ، ونتج عنه وجود هذه الألفاظ المترادفة باللام، أو الميم، أو النون من ناحية والألفاظ بالواو أو الياء (أو ما اعتل منهما) من ناحية أخرى .

أما المرادف لتلك الألفاظ بالتضعيف « فهو ما كانت عينه ولامه من جنس واحد، ويغلب على هذه الألفاظ سقوط حركة العين؛ لأن النبرة على المقطع الأول من الفعل تُضَعَّف عادةً من مدى حركة العين، وتتفق اللهجات العربية القديمة فى إسقاط هذه الحركة عند تماثل العين واللام. وترجع ظاهرة إسقاط حركة العين فى المضاعف، بالإضافة إلى تأثير النبرة إلى ثقل تتابع مقطعين قصيرين متماثلين : شَدَدَ > شَدَّ ، لذلك لم تحتفظ العربية بحركة العين رغم التضعيف إلا فى أفعال قليلة على وزن (فعل) لتمييزها عن البقية ، لأن (فعل) خاص دائماً بالصفات مثل : لبب، شرر ، حبت ، خفف ، رمم »[1].

لأنه من المعروف لغوياً ، أن المقطع المنبور نبراً أولياً ، يصيب المقطع التالى له ، بل والسابق له بالإظلام الصوتى؛ بمعنى أن حركة المقطع الطويلة تَقْصُر ، والقصيرة تَسْكُن ، والساكن يحذف ؟ ففى الفعل : (ردد) يسقط النبر الأولى

(١) البكوش ٩٩ وراجع المزهر ٢/ ٣٧.

على الراء، فتسكن الدال الأولى نتيجة لهذا النبر القوى السابق لها، فيلتقى حرفان من نوع واحد، أحدهما ساكن والثانى متحرك فيدغم الساكن فى المتحرك ؛ توفيراً للمجهود العضوى، ونطقهما بعملية واحدة بدلاً من عمليتين .

ومن ثَمَّ ، تتضح العلاقة بين الصيغ المشدَّدة، والصيغ المعتلة؛ ففى كلتا الحالتين، تكون الصيغة مكونة من عنصرين، سواء اختفى العنصر الثاني، أو العنصر الثالث، فالنتيجة واحدة ؛ لأن سقوط حرف العلة كما رأينا ناتج إما عن توالى الأمثال، ونشوء المد من الحركتين، أو ناشئ عن حذف أحد المعتلين للثقل عند اجتماع المتماثلين أو المتنافرين.

وسقوط عنصر التضعيف ناشئ بدوره عن تماثل العين واللام، وسكون أحدهما بفعل النبر، وإدخاله فى العنصر الثالث .

وقد أنعمت النظر فى المعجم الوسيط ، حول هذه الأفعال أو الصيغ التى حدث فيها إبدال بين كل من اللام والميم والنون من ناحية، وبين حروف العلة الثلاثة (و.ا.ى) من ناحية أخري، بل الصيغ المشدَّدة التى جاءت مرادفة للنوعين السابقين فخرجت بثَبَت الكلمات التالية ولا أدَّعى لها الحصر ، بل هى نسبية ولا شك ، يمكن الإضافة إليها أو الحذف منها ، والله الموفق .

كتابخانه ومركز اسناد
بنياد دايرة المعارف اسلامى

مراجع البحث

- أمنزوى . د. محمد أمنزوى

أشباه الصوائت فى اللغة العربية (نظامها ووظائفها) . مجلة اللسان العربي. العدد الثامن والأربعون. ديسمبر ١٩٩٩ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. مكتب تنسيق التعريب. الرباط.

- الأنبارى . كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن سعيد الأنبارى النحوى . الإنصاف فى مسائل الخلاف (بين النحويين : البصريين والكوفيين) تحقيق محى الدين عبد الحميد.

المكتبة العصرية. صيدا بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- أنيس . د. إبراهيم أنيس.
- الأصوات اللغوية .

الطبعة الخامسة ١٩٧٩ - مكتبة الأنجلو المصرية .

- بحث فى اشتقاق حروف العلة .

مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية - المجلد الثانى ١٩٤٤ . القاهرة. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

- پاى . ماريو پاى.

أسس علم اللغة .

ترجمة وتعليق : د. أحمد مختار عمر .

الطبعة الثانية ١٩٨٣ . عالم الكتب ٣٨ش عبد الخالق ثروت القاهر.

- برجشترا سر .

التطور النحوى .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

أخرجه وصححه وعلق عليه د. رمضان عبد التواب

مكتبة الخانجى القاهرة ١٩٨٢ .

- بشر . د. كمال محمد بشر

الأصوات العربية .

الناشر. مكتبة الشباب ٢٦ش إسماعيل سرى بالمنيرة.

- دراسات فى علم اللغة.

دار المعارف بمصر ١٩٧٣ .

- البغدادى. عبد القادر البغدادى.

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب.

ط. بولاق ١٢٩٩ هـ .

وبتحقيق عبد السلام هارون ١٣٨٧ - ١٩٦٧ وما بعدهما . القاهرة.

- البكوش . الطيب البكوش.

التصريف العربى (من خلال علم الأصوات الحديث) .

تقديم : صالح القرمادى . تونس ١٩٧٣ .

الشركة التونسية لفنون الرسم ٢٠ نهج المنهجى - تونس .

- ابن جنى . أبو الفتح عثمان بن جنى ت ٣٩٢ هـ الخصائص .

بتحقيق : محمد على النجار.

الناشر : دار الكتاب العربي. بدون تاريخ . ط. ثانية .

مصوَّر عن ط. دار الكتب المصرية ١٣٧١ - ١٩٥٢ وما بعدها .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

- سر صناعة الإعراب.

  دراسة وتحقيق : د. حسن هنداوي.

  دار القلم - دمشق ط. ثانية ١٤١٣ - ١٩٩٣.

- ديوان الهذليين.

  دار الكتب المصرية ١٣٦٩ - ١٩٥٠ .

- سيبويه . أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبرت ١٨٠ هـ .

  كتاب سيبويه.

  تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون.

  دار الجيل - بيروت ط. أولى .

- السيوطى . عبد الرحمن جلال الدين السيوطي.

  المزهر فى علوم اللغة وأنواعها .

  شرحه وضبطه وعنون موضوعاته محمد أحمد جاد المولى وآخرون.

  دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابى الحلبى وشركاه .

- العانى . د. سلمان حسن العاني.

  التشكيل الصوتى فى العربية (فونولوجيا العربية) .

  ترجمة : د. ياسر الملاح . مراجعة : د. محمود غالى .

  ط. أولى ١٤٠٣ - ١٩٨٣ النادى الأدبى الثقافى . جدة - السعودية .

- عليوة د. عبد الحميد عليوة مسعد.

  اتجاه حديث فى دراسة موسيقا الشعر العربى .

  القاهرة ٢٠٠٠ (تحت النشر . مجلة الدراسات اللغوية. جامعة الأمام محمد بن سعود) .

إيقاع الشعر العربى بين الكم والكيف .

القاهرة ١٩٩٧ مكتبة القاهرة ٩ ش الصنادقة . القاهرة .

- عمر . د. أحد مختار عمر .

دراسة الصوت اللغوي.

عالم الكتب ١٩٩١ ٣٨ش عبد الخالق ثروت . القاهرة .

- كانتينو . جان كانتينو .

دروس فى علم أصوات العربية .

نقله إلى العربية : صالح القرمادى . الجامعة التونسية .

نشر : مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ١٩٦٦ .

- المبرد . أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ٢١٠ - ٢٨٥هـ كتاب المقتضب .

تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة القاهرة ١٣٩٩ هـ.

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. لجنة إحياء التراث الإسلامى .

- مجمع اللغة العربية.

المعجم الوسيط .

قام بإخراجه : د. إبراهيم أنيس .د . عبد الحليم منتصر. عطية الصوالحى محمد خلف الله أحمد . الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م.

- مصلوح . د. سعد مصلوح .

دراسة السمع والكلام.

عالم الكتب ١٩٨٠ .

- ابن يعيش . الشيخ موفق الدين بن يعيش النحوى ت ٦٤٣هـ - شرح المفصل.

عالم الكتب - بيروت ، مكتبة المتبنى - القاهرة .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی